

حَضَارَةُ الْعَصْرِ: الْوَجْهَ الْآخِرُ

مَعَ مَقَالَ كَيْفَ نَضُونُ الْهُوَيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ
فِي عَصْرِ الْعَوْلَمَةِ؟

د. مُصْطَفَى حَامِي

كَلِيَّةُ الدِّينِ وَالْعِلْمِ - جَامِعَةُ الْقَاهِرَةِ

دار الدعوة



هذا الكتاب

- يهدف هذا الكتاب إلى التخفيف من سيطرة نظرة الانبهار بحضارة العصر الناجمة عن رؤية أحادية للتقدم التكنولوجي، منفصلة عن حقيقة دوافعها وأهدافها المصطبغة بالتعصب العنصري، والمشوبة بفلسفة المنفعة العملية وتحقيق المصالح، ولو على أشلاء المبادئ الإنسانية بسبب الأنانية، والسعي لفرض السيطرة العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية متشددة بشعارات برّاقة كحقوق الإنسان والحرية ووحدة القرية الكونية، بينما يثبت الواقع زيفها وخداعها لشعوب العالم الثالث، سعياً لالتهامه .
- تصويب النظرة لحضارة العصر مقدمة ضرورية لمعرفة الطريقة الصحيحة للتعامل معها .
- ثم يأتي مقال (كيف نصون الهوية الإسلامية في عصر العولمة) ليسهم في وضع الحواجز المانعة من سريان التغريب بأدواته المبهرة والذوبان في العولمة، لأن الحرص على اللحاق بمستوى العصر التكنولوجي العالمي، لا يستلزم إنكار الأمة لعقائدها وهويتها، فلسنا أقل شأنًا من أوروبا واليابان والصين .

وبالله التوفيق

حار الدعوة

خِصَارَةُ الْعَصْرِ.. الْوَجْهَ الْآخِرُ

كافة حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

رقم الإيداع القانوني

١٤١٦٠ / ٢٠٠٠م

الترقيم الدولي : 9-268-253-977

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

المركز الرئيسي : ٢ ش منشأ - محرم بك - الإسكندرية ت : ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ فاكس : ٥٩٠١٦٩٥

حَضَارَةُ الْعَصْرِ .. الْوَجْهَ الْآخِرُ

مَعَ مَقَالٍ كَيْفَ نَصُونُ الْهُوِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ
فِي عَصْرِ الْعَوْلَمَةِ؟

د. مُصْطَفَى حَامِي
كلية دارالعلوم - جامعة القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا

الذي كنا لنهتدي لہ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا

الذي كنا لنهتدي لہ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

أهلاً بعد،

فما يثير الدهشة والعجب معاً أن يشكو المعتدى من الضحية، ويصرخ عندما تحاول الضحية المقاومة المشروعة دفاعاً عن النفس .

يخطر بالبال هذا الخاطر عندما تروّج بعض الدوائر الغربية لإشاعة فكرة خطر الإسلام ووصم المسلمين بالإرهاب، وكأنما رمتنا بدائها وانسلت ! وهى من الحيل القديمة للاستعمار منذ وطأت أقدامه ديارنا والحق أن الشرق (لا يفكر فى الهجوم أو السيطرة على أحد كائناً من كان، وكل ما ينشده إنما هو استقلاله وسكّيته، وذلك مطلب مشروع)^(١)

ولا زال هذا موقفه أمام الغزو الذى أخذ يتقل من مرحلة إلى أخرى^(٢)، إلى أن ينتهى بما يسمى (بالعولة)، وهى الصيغة الأخيرة للسيطرة والابتلاع لكل ما هو أمامها، ولا عجب فإنها امتداد لحضارة العصر (هذه الحضارة الغاوية الغالبة المتسلطة)^(٣)

(١) ص ٧٨ من كتاب (أزمة العالم المعاصر)، رينيه جينو (الشيخ عبد الواحد يحيى) ترجمته سامى محمد عبد الحميد ط النهار سنة ١٩٩٦ م . ويقول فى ص ٣٦ (أن امامهم - أى أهل الشرق - عملاً شاقاً للدفاع عن أنفسهم ضد القهر الأوروى الذى قد ينفذ بآثاره إلى روحهم وفكرهم، وأن من أعجب الأعاجيب أن ترى المعتدين يصورون أنفسهم وكأنهم الضحايا) !

(٢) يقول هنتجتون (مر الغرب بمرحلة أولى، أوروية، من التطور والتوسع استمرت عدة قرون، ثم بمرحلة ثانية، أمريكية فى القرن العشرين) ص ٤٩٨ . من كتاب (صدام الحضارات : إعادة صنع النظام العالمى) ترجمة طلعت الشايب تقديم د. صلاح قنصوة . ط النهار سنة ١٩٩٦ م .

(٣) ص ٣٠ من كتاب (ثقافتنا فى مواجهة العصر) د / زكى نجيب محمود ط دار الشروق - يناير سنة ١٩٧٦ م .

أما عن مزاياها فلا يمارى فيها أحد، فقد تميزت وتفوقت بالتقدم العلمى والتكنولوجيا والتنظيم الإدارى والنظام السياسى والوفرة فى الانتاج الصناعى والزراعى، مع الجدية فى العمل والمثابرة والحرص على جعل اليوم أفضل من الأمس .. الخ .. ولكن تدفعها الأنانية للاستئثار فتلقى بالفائض من الإنتاج الزراعى والبحار والمحيطات للحفاظ على سعره، وتضنّ علينا بما يفيدنا علمياً وتكنولوجياً لنظّل تابعين لها، وتحرص على إغراقنا برذائلها من آداب وفنون الجنس، ومذاهب العبث واللامعقول، وأفلام العنف والعري، ثم أخذت تتدخل أخيراً فى أخص شئوننا تحت لافتة الدفاع عن المرأة والأسرة والحريات .

ونرى أن أول خطوات المقاومة، هى فتح الأعين على الوجه الآخر لحضارة العصر لأنها حريصة على الظهور بوجهها المتجمل بأدوات التكنولوجيا، وتزييف الحقائق بأجهزة الإعلام التى برعت فى الانحياز والخداع، والكيل بمكيالين عند نقل الأخبار، وعرض الآراء بانحياز متعمد، مع إخفاء الوجه الآخر الذى يفصل ملامحها الحقيقية .

وبهذا الوعى نستطيع التخلص من آثار الهزيمة النفسية أمام حضارة الغرب بمعرفة خلفياتها وروحها، وفى المقابل وجب علينا السعى لمعرفة القيم الرفيعة لحضارة الإسلام التى تركها المسلمون وراء ظهورهم، إما جهلاً أو إهمالاً وتكاسلاً أو بسبب الضوء الباهر لحضارة العصر، الذى ربما يزيغ البصر مؤقتاً، ولكن لا يدفع للانقياد والسلبية .

يقول د / مراد هوفمان^(١) :

(تتحدث وسائل الإعلام، من وقت إلى آخر بشكل لائق وفى احترام بالغ عن طقوس اليهودية المتشددة، خصوصاً طائفة Lubevitscher، ويتابعون بحرص طقوس الفصل بين الجنسين، تدابير الزيجات، تصفيات شعرهم ذات المغزى، ملابسهم، غطاء الرأس، آداب الطعام، النحر ورفض تناول لحم الخنزير . ولكن

(١) ص ١٥٠ من كتاب (الطريق إلى مكة)، مراد هوفمان دار الشروق بمصر ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

لا يهتمهم أحد بانتهاك حقوق المرأة، أو أن هذه الطقوس رجعية أو متعصبة. ولكن هذه هي الصفات التي تلتصق بالمسلمين، إذا ما سلكوا نفس هذا المسلك). ويمضى مبنياً انحياز وسائل الإعلام فى التقارير الإخبارية إذ لم يتحدث أحد ابداً عن هتلر الكاثوليكي أو ستالين المسيحي الأرثوذكسى، أو زعيم الصرب كاردتش المسيحي، ويوصف العربى فقط بالإرهابى إذا أمسك السلاح بيده، حتى إذا كان مسيحياً فلسطينياً أو بعثياً لا يؤمن بالله.

كذلك لم توصف الأسلحة التى أسقطت على نجازاكي وهيروشيما بـ (القنبلة المسيحية)، ولكن إذا حامت شكوك حول قيام دولة إسلامية بصنعها سميت بـ(القنبلة الإسلامية) فوراً.

وحدث ولا حرج عن صفة (متعصب) لكل زعيم مسلم (أما ميلو شفيتش فلا . الهجمات المسلحة فى كاتالونيا وإقليم الباسك وأيرلندا الشمالية، لا يقوم بها « باسكيون متعصبون » أو « كاثوليك متعصبون »، بل أعضاء جماعة ETA وجماعة RAI..) (١.١ هـ)

وقد أصاب د / جلال أمين عندما شخّص العلاقة بيننا وبين الغرب بأننا وقعنا فى فخ ما سُمى (بآطروحة صراع الحضارات)، لأن الذى بيننا وبينه ليس صراعاً بل اعتداء، وكان معترضاً على فرض الغرب علينا قضايا (الحوار) ليدفعنا إلى الانسياق وراءه، ورأى أن المأمن من الوقوع فى هذا الفخ (اختيارنا نحن إجابتنا بأنفسنا، والا ننساق وراء ما يحددونه من صيغ)^(١)

أهداف الكتاب :

أولاً: فهم روح الحضارة المعاصرة وجوهرها بمنهج نقدى يستطلع دوافعها وأهدافها وموقفها مناً، إذ من الخطأ اختزال هذه الحضارة وحصنها فيما يظهر لنا من أمارات التقدم التكنولوجى والنظام الديمقراطى والوفرة الاقتصادية، وكان

(١) من مداخلات المؤتمر الدولى حول صراع الحضارات أم حوار الثقافات (القاهرة ١٠ - ١٢ مارس.

١٩٩٧ م نشرت بكتاب بنفس العنوان ص ٥٩٣ .

مطبوعات تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية بالقاهرة تحرير د / فخرى لبيب

ألبرت شيفتر من المحذرين لتغليب الانجازات المادية على العنصر الروحي وقال :
(ولكن الحقائق بدأت تدعونا إلى التفكير . إنها تقول بلسان جاد ، إن
الحضارة التي لا تنمو فيها إلا النواحي المادية دون أن يواكب ذلك نمو متكافئ في
ميدان الروح هي أشبه ما تكون بسفينة اختلت قيادتها ومضت بسرعة متزايدة نحو
الكارثة التي ستقضى عليها ^(١) ، وسيتضح لنا ذلك جيداً بعد نزع وجهها
الدبلوماسي المغلف بالمصلحة .

ثانياً : ألا يدفعنا الإنبهار إلى الذوبان فيها على حساب تراثنا الروحي
والفكري ، وهو الأساس الجدير وحده بنهضتنا بعد تهافت الأيدولوجيات .

ثالثاً : كيف نحافظ على هويتنا ؟

والإجابة في مقال مستقل
ويحتوى الكتاب على مقدمة ومدخل للدراسة ، ثم عرض لبعض قسّمات
الوجه الآخر لحضارة العصر .
وأسأل الله عز وجل أن يحقق هذا الكتاب أهدافه ، وأن يلهمنا التسديد
والتوفيق ،

وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب ،

مصطفى بن محمد حلمي

أول رجب ١٤٢١ هـ

الأسكندرية في : ٢٨ سبتمبر سنة ٢٠٠٠ م

(١) فلسفة الحضارة ، ألبرت شيفتر ص ٣٦ ، ترجمة د / عبد الرحمن بدوي المؤسسة المصرية العامة

مدخل الدراسة

- تفسير هجمات الغرب الأخيرة في العصر الحديث .
- الدور الأخير لتطور الحضارة المعاصرة .
- تعليل الفزع من الإسلام .
- انتعاش الصحوة الدينية في الغرب .

* * *

تفسير هجمات الغرب الأخيرة فى العصر الحديث ،

لاقى المسلمون الأمرين من أهل الحضارة الغربية وتعرضوا للغزوات العسكرية المتواصلة منذ نحو قرنين، وبعد انسحاب الجيوش من أرض المسلمين حل الغزو الثقافى بأدواته المسمومة محل الاحتلال العسكرى ولا يزال مستمراً فى تخريب نسيج الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، مما يندر بالخطر على كيانتنا، كأمة، وزاد الطين بلة إزاحة شريعة الإسلام من مكانتها الحاكمة والضابطة لحياة الإنسان فى المجتمعات الإسلامية وإحلال القوانين الوضعية محلها، وسارت بجوارها عملية فرض الفلسفة والثقافة ونظرتهم للحياة والقيم فى الأدب والفن وطرق المعيشة والسلوك فى المأكل والملبس والمشرَب وهامو المؤرخ الانجليزى توينبى لم يخف حقيقة الصراع بين الغرب والعالم الإسلامى الذى لم ينقطع، مع تغيير الأسلوب، إذ بعد دروس الحروب الصليبية التى تعلمها الغرب، عاد للهجوم بأسلوب آخر، أى أسلوب التطويق من المحيطات، بدلاً من النفاذ إلى القلب لأنه لقى مقاومة بشجاعة، قال توينبى :

(والواقع هو أن الهجوم الغربى المضاد على العالم الإسلامى - وهو الهجوم الذى كان مقدراً له أن يقع إن أجلاً أو عاجلاً بعد فشل الأتراك فى فيينا عام ١٦٨٣ م هذا الهجوم قد تأخر بسبب ما يحفظه الغرب من ذكريات بعيدة الزمن عن الشجاعة العسكرية التاريخية التى كان عليها الأتراك والشعوب الإسلامية الأخرى وكان رد العالم الغربى على غزو الأتراك للبلاد المسيحية الأرثوذكسية الشرقية خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر هو ألا يقوم بهجوم أمامى جديد على العالم الإسلامى على نمط الحرب الصليبية التى منيت بهزيمة ساحقة بل بتطويق المسلمين عن طريق السيطرة على المحيط^(١) ونفهم من النص كيف حاول توينبى التخفيف من حدة العداء مُعبراً عنه بالذكريات، ولكنه لم يُخف اسم الأتراك بخاصة ووصفهم بالشجاعة ولم يسترح الغرب إلا بعد تحطيم الخلافة

(١) ص ١١٠ من كتاب (أرنولد توينبى)، لى المطبعى دار الكتاب العربى بالقاهرة ٢٢ / ٢ / ١٩٦٧ م

العثمانية، والحق أن القليل منا من يعرف أبعاد الكارثة التي كانت حين وقوعها بمثابة زلزال مدمر للأمة عرف علماؤها وعامتها بفطرتهم الإيمانية أنها بداية انحسار الإسلام بعد أن تمكن الغرب من تحطيم حصن الإسلام من داخله على يد أتاتورك اليهودى الدونمى، والدوغة فرقة من فرق اليهود تتخذ الإسلام واجهة تخفى وراءها يهوديتها .

ويصور لنا الشيخ الندوى بأسلوبه البليغ هذا الحدث فيقول (وبذلك انهدم ليس سور الأماكن المقدسة فحسب، بل سور عرض المسلمين وعزهم وكرامتهم الذى بناه الأتراك العثمانيون بتضحياتهم الجسيمة وقوتهم العسكرية، وبمكافة الخلافة المقدسة) .

ومن تعليقات العلامة شبلى النعمانى فى قصيدته وعنوانها (كارثة البلقان) :
أن زوال الدولة العثمانية فى الواقع زوال ملك المسلمين وملتهم . . .) وقال الدكتور محمد إقبال فى أحد أبياته (لقد خرق الجاهل السفه قباء الخلافة، فانظر سذاجة المسلم وشطارة الأجانب)^(١)

يؤيد ذلك اعتراف كرزون الوزير البريطانى الصريح باعلانه فى مجلس العموم أن تركيا قضى عليها ولن تقوم لها قائمة لأن حكومتها - وكان هذا بإيعاز من القوى الغربية وباصرار منها - قد قضت على القوة المعنوية فيها وهى الخلافة الإسلامية^(٢)

وكانت الضربة قاصمة لم تر الأمة مثلها فى تاريخها كله، فعندما أسقط التتار الخلافة ببغداد عام ٦٥٦ هـ أعيدت بعدها سنة ٦٥٨ هـ بالقاهرة، وعلى أثر

(١) ص ٦٦ / ٦٧ من كتاب فى سيرة الحياة للامام الندوى ط دار القلم / دمشق - بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م وأجمعت المصادر أن أتاتورك لم يكن مسلماً، ولكن كان يهودياً من طائفة الدوغة المسترة بالإسلام يُنظر كتاب (يهود الدوغة) ترجمة كمال خوجه - ط دار السلام بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧ م وكتاب (الفكر الدينى اليهودى - أطواره ومذاهبه) للدكتور حسن ظاظا من ص ١٢٠ ومن ص ٢٦١ إلى ص ٢٦٣ ط دار القلم / دمشق ودار العلوم / بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

(٢) تاريخ الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية ص ٢٧٣، على حسون ط المكتب الإسلامى، دمشق، بيروت نقلاً عن الندوى ص ٦٧ المصدر السابق .

تخطيطها جراً أتاتورك ومن حذا حذوه على إقصاء الشريعة بعد ما كانت الحاكمة طوال القرون، وإحلال القوانين الوضعية، وبعدما نشأت الأمة الإسلامية منذ عصر النبي ﷺ، وهى تحتضن مفهوم الارتباط المتين بين أمور الدين والدنيا التى تنظمها الشريعة ويقوم على تنفيذها الخليفة حيث يتفق الفقهاء على صياغة هذا المفهوم فى تعريفهم للخلافة بأنها (رئاسة عامة فى أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي ﷺ) (١)

يتضح اذن الصورة الخلفية للحضارة المعاصرة بدوافع هجماتها على العالم الإسلامى فى العصر الحديث، وقد أجملها الأستاذ العقاد فى ثلاثة هى :

١ - الصهيونية العالمية :

وتلك أشرنا إلى أنها صهرت المذهب البروتستنتى، وضمت إليها الملايين من النصرارى المؤمنين بأهدافها غير المشروعة فى اغتصاب أرض فلسطين من أهلها بزعم تنبؤات توراثية (٢)

ولله درّ العقاد الذى تنبه منذ وقت مبكر إلى السر الدفين بين النحلتين، وهو ما لم يظهر على السطح إلا أخيراً، فأصبح من السهل تفسير المؤامرة الكاملة من الانجليز لليهود (وعد بلفور وتمكينهم من الإستيلاء على بعض الأراضى بفلسطين قبل الجلاء عنها عقب إنتهاء الانتداب سنة ١٩٤٨م - ثم جاء بعدهم الأمريكان لتكملة المسيرة، وكلاهما يدينان بالمذهب البروتستانتى !)

٢ - الإستعمار وقصته البشعة معروفة ومسجلة، ولكن قلّ من يقرأ، أو إذا قرأ فإنه يخفى السجل المتختم بالجرائم .

(١) للاستزادة، يُنظر الدراسة حول كتاب (التكبير على منكرى النعمة من الدين والخلافة والأمة) لشيخ الإسلام مصطفى صبرى، وقد صدرت مع الكتاب بعنوان (الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية) ط دار الدعوة بالاسكندرية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

(٢) ص ١٠٨ من كتاب (الإسلام فى مواجهة الغرب) للأمريكية المهنية مريم جميلة ترجمة طارق السيد خاطر - ط المختار الإسلامى بمصر سنة ١٩٩٢ م .

٣ - التعصب على الإسلام، وهذا هو الداهية الكبرى والقاصمة التي ما بعدها قاصمة ^(١)

الدور الأخير لتطور الحضارة المعاصرة :

بعد فشل الماركسية كفلسفة ونظام سياسى واقتصادى جاءت (العولمة) أو (الامركة) لتفرض نفسها بهالة ضخمة من الدعاية بحملات إعلامية ضخمة ومنظمة يقودها دعاة مصنوعون بأيدي الاجهزة الحاكمة والمخابرات أمثال هتجتون وفريدمان وفوكوياما لاقتلاعنا من هويتنا والإلقاء بنا فى أتون النظام العالمى الجديد، متجاهلين التاريخ الصحيح للحضارات التي ربما تتلاقى، أو تصطدم بسبب تنوع الثقافات والأعراق والأجناس، ولم يحدث فى تاريخ العالم انفراد إحدى الدول بحكمه والسيطرة المفردة عليه لأنه من سنن الله الكونية تدافع الأمم، كما يتدافع الحق والباطل .

وأقرب مثال لذلك أن إنتقال علوم المسلمين إلى أوروبا فى العصور الوسطى لم يجعل شعوبها جزءاً من الحضارة الإسلامية، فلم تفكر شعوب أوروبا حين ذاك فى الأخذ بأسلوب الحياة العربية والتخلى عن أسلوبهم، بالرغم من أن أوروبا (رحبت بفهم وتلقى إنجازات وأعمال المسلمين فى العلوم والفلسفة ... ولكنها مع ذلك لم تكن أبداً راغبة فى هجر هويتها الحضارية كما تفعل البلاد الإسلامية الآن) ^(٢)

ويعتبر جارودى عام ١٩٩٢ بداية العهد الإستعمارى فى التاريخ الحديث بسبب إنهيار إشتراكية الدول فى الشرق، وما سجلته فيه حرب الخليج، إذا كشف تدمير العراق عن حرب من نوع جديد، لأنها ليست بين دول إستعمارية متنافسة كإنجلترا أو فرنسا (لكن إستعمار جماعى متعدد الجنسيات تحت سيطرة الأقوى : الولايات المتحدة، إنها أول حرب إستعمارية عالمية . حرب تحالف كل المستعمرين القدامى،

(١) الصهيونية العالمية، عباس العقاد ص ٣٧ ط مكتبة غريب بمصر سنة ١٩٦٨م

ينظر كتاب (المسيح اليهودى ونهاية العالم - المسيحية السياسية و الأصولية فى أمريكا)، رضا هلال مكتبة الشروق ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

(٢) ص ١٠٨ من كتاب (الإسلام فى مواجهة الغرب) للأمريكية المهتدية مريم جميلة ترجمة طارق

السيد خاطر - ط المختار الإسلامى بمصر سنة ١٩٩٢ م .

دون إستثناء، ومعهم « عملائهم » التقليديون المشترون والمجندون فى المواقع (١)
وكشف عام ١٩٩٢ عن الفشل المزدوج للحضارة الغربية فى نموذجها السوفيتى
الذى قاد إلى نظام تعسفى وفى نموذجها الأمريكى الذى أعادنا إلى الغابة .
ولم ينجح كلاهما فى الإجابة عن الأسئلة الخاصة بالأهداف النهائية .
وفشل العلم التجريبي والتكنولوجيا فى قيادة الإنسانية بنجاح، كما فشل علم
الاجتماع فى أن يحل محل الأخلاق .
وولد نوع جديد من البشر : الإنسان المبرمج وأصبحت العقول البشرية تشبه
الكمبيوتر .

ولكن مع قدرة الكمبيوتر التى ليس لها حدود فى تقديم الحلول بدل العقل
البشرى، فإنه يبقى كنوع من التطوير لوسائلنا وجعلها أكثر فاعلية، ولم يقدم الحل
المتمثل فى التساؤل حول الأهداف النهائية منذ بداية الإنسانية، وهذا من عمل
الأديان (٢)

ويصح الاستنتاج إذن، من عجز حضارة العصر عن تحقيق الحياة الطيبة، أن
إنقاذها (لن يتم إلا من خلال العودة إلى حضارة أخرى - أو على الأقل - إلى نظام
آخر للقيم أكثر تماسكاً وأكثر منطقية) (٣)

وربما كان ذلك سبب إقبال بعض الشباب الأوروبى على الإسلام بدافع البحث
عن الفضائل التى إفتقدها فى مجتمعاته، وهذا ما يراه الدكتور هوفمان، فيذكر أن
بعض الشباب المعارض على إنحرافات المجتمع الصناعى وجد فى الإسلام ضالته
المنشودة، والحياه فى (مجتمع عالمى أكثر عدلاً، تسوده أخلاقيات رفيعة، مجتمع
يخلو من تقسيمات وتدرجات هرمية معقدة، مجتمع يبعث وينشر الدفء الإنسانى،

(١) حفار القبور، الحضارة التى تحفر للإنسانية قبرها، روجيه جارودى ط دار الشروق سنة ١٤١٩ هـ
سنة ١٩٩٩ م ص ٧١٦ .

(٢) باختصار من ص ٨ إلى ص ٩٠ من كتاب (حفار القبور)، جارودى

(٣) ص ٢٦ من كتاب (الإسلام والقوى الدولية) د / حامد ربيع ط دار الموقف العربى - القاهرة

سنة ١٩٨١ م

مجتمع يوفر للإنسان السند، ويمنح الحياة معنى عميقاً (١).

ولو شئنا التوسع، لعرضنا للنسق العام للثقافة الإسلامية الذى يتضمن تفسيرات للحياة والكون بأدلة عقلية وفق أنساق متكاملة تصل بين حقيقة خلق الإنسان والحياة الدنيا والمصير، وصلة الإنسان بالعالم ودوره كخليفة لله عزوجل فى الأرض، لتحقيق العدل وتعمير الأرض كل ذلك فى أنساق مبهر، تتضاءل أمامه فلسفات الفلاسفة وقوانين المشرعين الوضعيين (٢).

تعليل الفزع من الإسلام،

أصاب صحو الإسلام الفزع فى الغرب لأنها أتت معارضة لتكهنات المتخصصين فى دراسة الشرق إذ ساد الاعتقاد منذ بداية القرن العشرين أن الإسلام استنفد دوره السياسى نظراً لوقوع العالم الإسلامى بالكامل (تحت وطأة الاستعمار الأوروبى) (٣).

يقول مراد هوفمان (كان دارسو الإسلام، إبان فترة الاستعمار وحتى خمسينيات هذا القرن، على يقين تام من موت وفناء موضوع بحثهم، حتى إنهم انطلقوا يبحثون عن الإسلام قبل زواله وأقول نجمه... فلقد كان واضحاً بما لا يدع مجالاً للشك، أن ديانة السكان الأصليين البدائية ستذوب أمام شمس الحداثة الغربية) (٤).

ويعلل هوفمان الصدمة بسبب نجاح الثورة الإيرانية وما ألحقته بالولايات المتحدة من إهانات بالغة، كذلك بسبب إجبار المجهادين الأفغان الجيش الروسى على الانسحاب من أراضيهم. وربما يرجع السبب أيضاً إلى تحول الداخلين فى الإسلام إلى أعداد غفيرة بعد إن كانت حالات فردية. يقول هوفمان :

(١) الطريق إلى مكة، مراد هوفمان ص ١٢٤ دار الشروق ١٤١٩ هـ.. ١٩٩٨ م

(٢) ينظر كتابنا (إسلام جارودى بين الحقيقة والافتراء) ص

(٣-٤) الطريق إلى مكة، مراد هوفمان دار الشروق ١٤١٩ هـ.. ١٩٩٨ م ص ١٤٧ / ١٤٨ وجاء

كتابه «الإسلام كبديل» رداً غير مباشر على كتاب فوكوياما (نهاية التاريخ والرجل الأخير) ص ١٧٢.

(تعتنق الإسلام اليوم أعداد متزايدة من الأوروبيين فى جميع بلدان أوروبا ، وأصبح اعتناق الإسلام يمثل فى الآونة الأخيرة ظاهرة ، بعد أن كان من قبل حالات فردية) .

وتعلل الدكتور / ريجفرد هونكة عداء الغرب للمسلمين منذ الحروب الصليبية ، وتخص بالذكر البابا الذى وجه ندائه للفرسان ، بالآ يكفوا عن حرب العالم الإسلامى أبداً بقوله : (ولست أنا الذى ينذرکم وإنما الرب نفسه يطلب إليکم ويحذرکم ، بصفتكم حملة لواء المسيح ﷺ والمبشرين الداعين إليه ، أن تطهروا الأرض المقدسة التى يعيش فيها إخوانكم المسيحيون ، من أولئك الرعاع) (١) .

بالإضافة إلى الأحكام المسبقة الظالمة التى شرهت وجه الإسلام ، كوصفه بالجبرية ، وانتشاره بحد السيف واضطهاد المرأة ، وتطلق أبواق الدعاية لتكيد المدح للنصارى بصفتهم نبلاء عظماء ، وتنال بظلم بين من المسلمين ، (الذين لا يستحقون سوى القتل وأن يخرخوا غارقين فى دمائهم تطأ أشلاءهم الأقدام وطأاً) (٢) وقد فندت الدكتورة هونكة - مشكورة - كل الاتهامات الموجهة للإسلام والمسلمين وناقشتها بمنهج علمى رصين ، ودفعها ذلك إلى إظهار فضل حضارة الإسلام على أوروبا ووصفتها بأنها (الحضارة الزاهرة التى غمرت بأشعتها أوروبا عدة قرون) (٣) .

وأزعجها من بنى وطنها فى ألمانيا خاصة موجات العداء المغرضة التى تستهدف الإسلام (٤) .

وفى موضع آخر من كتابها (الله ليس كذلك) تفسر العداء المعاصر (٥) بقولها (إن الصدمة النفسية العربية المتغلغلة فى كيان الغرب ، والتى لم يشف منها فى مجموعها بوجه عام ، على امتداد ألف عام ، فيما عدا استثناءات بهيجة ، صارت

(١) ص ١٧ من كتاب { الله ليس كذلك } ريجفرد هونكة ترجمة د/ غريب محمد غريب دار الشروق مؤسسة بافاريا - مجلة النور الكويتية ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م .

(٢) نفسه ص ٤٤ . (٣) نفسه ص ٩ . (٤) نفسه ص ٩٩ .

(٥) ولفظ العداء الوارد بالنص اقل وطأة من (الاحتقار) الذى يستخدم أحياناً لتصوير نظرة الغرب للشرق يقول شيون (ذلك الاحتقار الذى يكتنه كثير من الغربيين لدى احتكاكهم بالشرقيين - وهو احتقار - وبالأسف ، غيرنا شيء دائماً عن مجرد التحامل مثلما هى عليه الحال فى كره الشرق التقليدى ...) ص ٨ من كتاب (الإيمان والإسلام والإحسان فى مقارنة الأديان) تأليف فرنجيوس شيون وترجمة نهاد خياطة - ط المؤسسة الجامعية / بيروت ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م .

اليوم تنصب على الاتراك، ظلماً وإجحافاً ثائراً أرعن (١) .

هذا، وقد تضافر العداء للإسلام مع نقیصة التمييز العنصری لیصبحا دستوراً يتبعه الغرب الآن مع الملونین، ومنهم المسلمین، فما زالت هناك نزعة خفية - كما یسمیها جیهنو - لدى الكل فی أوربا ضرورة تحجیم هجرة الجنوب، بل وقفها إن أمکن، ولكن الأغلبية لا تجرؤ على التصريح علناً بذلك، ولكنه یكتب بصراحة (علینا أن نحمی أنفسنا من تلك المجتمعات المحیطة بنا، وأن نقیم الحواجز وننعزل حتى نتحاشی أن یعكر البرابرة الذین یطوقوننا، صفو التعقید المریح للعصر الإمبراطوری، ویجب أن یكون اندماج عالمنا بشكل متزايد، عالم الأغنیاء، مصحوباً بتباعد أعمق فأعمق عن عالم الفقراء الذی یحسن بنا أن نسمیه بالآخرى « العالم الآخر » لا العالم الثالث) (٢).

ثم یقر أيضاً داخل دائرة العنصرية بین فئتی الأوربيين المسیحیین، والأفارقة المسلمین، فیقول (إلا أننا أقل انغلاقاً إزاء هجرة جيراننا الوافدين من شرق أوربا الأوربيين والمسیحیین، بالمقارنة مع جبران « الجنوب » من عرب وأتراك وأفارقة، وأغلبهم من المسلمین) (٣).

كذلك تهمة الارهاب كسلوك عنیف ودموی، مصدره هناك كما سنرى فی «ضمون الكتاب ولكن استطاع الغرب الماکر تزيف صورته وكأنه الحمل الودیع، بینما هو فی الحقيقة یخلط بین الإسلام والارهاب بسبب تحیزه المسبق (حتى وصل الأمر إلى إطلاق إسلاموفوبیا على هذه الظاهرة . إن الغرب یسعى إلى فبركة عدوّ جدید هو الاسلام هذه المرة) (٤) .

وببالغ هتجتون فیما یتصوره من خطر الإسلام على الثقافة الغربية ویرى أنها

(١) نفسه ص ٩٩ .

(٢) نهاية الديمقراطية، جان مارى جیهنو ص ٤٣ ترجمة حلیم طوسون مكتبة الشروق يوليو ١٩٩٥ م

(٣) نفسه ص ٤٣ .

(٤) ص ٧٤٨ من مداخلات المؤتمر الدولی حول صراع الحضارات أم حوارات الثقافات، مصدر سابق ویفسر ذلك د/ وجیه کوثرانى بأن الرأى العام الغربى عموماً لا ید له من أسطورة خطر تتهدده من الخارج کى یتماسک (١٩٢ من مقالة بعنوان : أزمة نظام عالمی أم صدام حضارات) .

تواجه تحديات من جماعات داخل المجتمعات الغربية، ويخص المهاجرين
الرافضين الاندماج ويواصلون الالتزام بقيم وثقافات مجتمعاتهم الأصلية.
ويقول (هذه الظاهرة أكثر ما نلاحظها بين المسلمين في أوروبا، وهو أقلية
صغيرة على أية حال)^(١)

انتعاش الصحوة الدينية في الغرب :

ظهرت في السنوات الأخيرة بحوث ودراسات لرصد التحولات العميقة في
الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسة في الغرب وإلها مغزاها في خط سير
حضارته، حيث فصل الدين عن الدولة في باكورة عصر نهضته، ثم دار الزمن
دورته، وعاد يلتبس في الدين : إما علاجاً لأدوائه وضمناً لاستمرار حضارته
وحفظاً لها من الانحدار في غرب أوروبا، أو رباعاً جامعاً كبديل للماركسية
النهارة في شرق أوروبا. ^(٢)

ويبدو أن التيار الغالب الآن هو تيار اليمين المسيحي، يقول الدكتور حازم
البلاوي: (فحتى وقت غير بعيد كان المفكرون الغربيون يصفون أصول ثقافتهم
بأنها إغريقية - رومانية - مسيحية، و إذا بنا نجد في السنوات الأخيرة سبلاً من
الكتابات يشير إلى جذور اليهودية - المسيحية لهذه الحضارة) ^(٣)

ومنذ سقوط الاتحاد السوفيتي، تمخضت الأحداث عن إحياء ديني في روسيا
والدول التابعة لها، وقد سجل منتجعون هذا التحول المثير بقوله : (الحروب

(١) ص ٤٩٢ مدام الحضارات .

(٢) ص ١٥٧ من كتاب (المسيحي اليهودي ونهاية العالم - المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا)،
رضا علال مكتبة للشرق بالقاهرة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م .

(٣) نحن والغرب - عصر المواجهة أم التلاقي ؟ د. حازم البلاوي ص ٣٠ ط دار الشروق ١٤٢٠هـ -

اليوغوسلافية أقررت أيضاً تجمعا كبيرا للعالم الأرثوذكسي وراء صربيا . القوميون الروس، ضباط القوات المسلحة، رجال البرلمان، رؤساء الكنيسة الأرثوذكسية، كل أولئك كانوا واضحين في دعمهم («صربيا» و الخط من شأن (الاتراك) البوسنيين ، وانتقادهم للاستعمار الغربى ولله ناتو » (١) .

أما في أمريكا، فإن اليقظة الدينية هناك تسعى إلى انتشار المجتمع من الانحدار، إذ تنجح اليمين المسيحية في إعادة تيم العائلة و المطالبة بالصلاة في المدارس و المطالبة بإلغاء قانون إبادة الإجهاض و حقوق الشواذ جنسياً .

واستطاعت الحركة جذب الأغلبية في مجلس الكونجرس، بحيث لم تفلح معارضة الحزب الديمقراطي في كسر شوكتهم . وربما لم يحسم الصراع بعد، ولكن الكفة الراجحة طوال السنوات العشرين لصالح اليمين المسيحية (٢) .

وقد عقد هنتنجتون مقارنة بين المسيحية في الغرب وبين أمريكا، ورأى أن ضعف المسيحية - التي هي المكون الرئيسى للحضارة الغربية - قد يقلل من شأن تلك الحضارة، و في المقابل يصف الأمريكيين بأنهم يترددون على الكنائس بأعداد كبيرة، (وبينما لا يوجد دليل على يقظة دينية في أمريكا منذ منتصف الثمانينيات، إلا أن العقد التالى بدا وكأنه يشهد نشاطاً دينياً واسعاً) (٣) .

كذلك زحفت الصحوة الدينية على بعض الأعمال المسرحية التي لقيت إعجاباً شديداً من الجماهير وكأنها عثرت على ضالتها بعد سقوط الأيدولوجيات، منها مسرحية للكاتب البولندي كانتور، التي تصاحب أحداثها التراجيل الدينية، وتتضمن مشاهدتها (مشهد حمل الصليب، ومشهد واقعي للصليب، وبعد أن نعابش آلام الصليب و مهاتته، نصل في النهاية الى العشاء الأخير، الذى تعود

(١) ص ٤٥٩ من كتاب (صدام الحضارات) .

(٢) المسيحي اليهودي ونهاية العالم مرجع سابق .

(٣) ص ٤٩٣ صدام الحضارات .

الشخصيات بعده إلى عالم الموتى، بينما نظل نحن المتفرجين فى حالة من الصدمة
و الذهول فترة، قبل أن نتمالك أنفسنا لنحيي الممثلين على جهودهم، ولنشكرهم
لأنهم قدموا لنا صورة لماضينا وحياتنا، و أيضا موتنا ^(١) .
تُرى، لو عرضتُ عندنا مسرحية تعالج قضية دينية، فما هى التعليقات المنتظرة
للنقاد؟

* * *

و حان الآن الانتقال لصلب الكتاب الذي يتضمنُ عرضاً موجزاً للنكبات التي
سببتها لنا حضارة العصر، ويزيح الستار عن ملامح وجهها الدميم :

(١) ص ٣٠٢ من كتاب (التفسير والتفكيك والايديولوجية ودراسات أخرى) اختيار وتقديم د. نهاد

صليحه ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠ م .

حضارة العصر.. الوجه الآخر ويتضمن البحوث الآتية :

- ١- تخطيط الخلافة العثمانية .
- ٢- مسئولية حضارة العصر عن (زرع) إسرائيل .
- ٣- تعاون الشرق والغرب معاً على إنشاء إسرائيل .
- ٤- حضارة العصر : صانعة الإرهاب .
- ٥- نهب ثروات الشعوب وإجهاض حركات النهضة الذاتية .
- ٦- إحياء الدين وتوظيفه سياسياً ،
- ٧- التفرقة العنصرية .

* * *

١. تحطيم الخلافة العثمانية

تكالبت دول الغرب مجتمعة علي الخلافة العثمانية ليسهل اقتسام بلاد المسلمين ورفع رايات العصبية من قومية ووطنية، وغرس مذاهب فلسفية وسياسية، فتوزعت الامة الإسلامية إلى دول ودويلات وإمارات والتهمها الاستعمار ووضع ركيزته (إسرائيل) في موضع القلب بفلسطين بينما كانت منطقة الشرق الاوسط مستعصية على الاستعمار (لأنها كانت جزءاً من الخلافة الإسلامية التركية التي أقامها العثمانيون في القسطنطينية منذ أواسط القرن الخامس عشر) (١) .

ونعطي للقارئ في عجالة فكرة عامة تتناول التعريف بنظام الخلافة، لأننا معشر الجيل المعاصر قد أنسينا عن عمد تاريخها، وأخفيَ عنا مآثرها وفضائلها ومجالي عظمتها، وشوحت مناهج التعليم صورة الخلافة، ووصفتها - وباللعار - بأنها استعمار يقف في مصاف دول الاستعمار الغربية على خط واحد !

وما أبعد هذا الزيف من الحق والواقع ! إن الخلافة في حقيقتها هي النظام السياسي المتصل منذ وفاة النبي ﷺ ، أصابه الزهن في أطواره التاريخية، ولم يستمر على (مثاليته) أبام الخلافة الراشدة، ولكن بقي محافظاً على (وحدة) الامة الإسلامية، تلجأ إليه في حالة المصائب والكوارث فينقذها، وتحقق ذلك بالفعل أثناء الغزو التتاري والحروب الصليبية. وقد وعى الغرب ذلك جيداً فوضع نصب عينيه هدم الخلافة ليسهل عليه التهام الامة .

ونكتفي باجتزاء تعريف ابن خلدون للخلافة المستند إلى التصور الصحيح لها ليعرف المسلمون قدرها، قال (الخلافة حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا) (٢)

فلا عجب - كما يقول الإمام رشيد رضا - أن يستمسك أكثر مسلمي الأرض

(١) د/ حسن ظاظا (إسرائيل ركيزة للاستعمار بين المسلمين) ص ٤ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٧٨ . تحقيق د/ عبد الواحد وافي دار نهضة مصر بالقاهرة .

بالدولة العثمانية وخليفتها لأنها أقوى الحكومات الإسلامية، ثم يستطرد قائلاً (والحرص على بقائها ممزوج بدم كل مسلم وعصبه، فهو لا يرى دينه باقياً إلا بوجود دولة إسلامية مستقلة قوية قادرة بذاتها على تنفيذ أحكام شرعة بغير معارض ولا سيطرة أجنبية، وهذا هو السبب في تعلق أكثر مسلمي الأرض بمحبة دولة الترك، واعتبارهم إياها هي الدولة الممثلة لخلافة النبوة .. إلخ . .)^(١) وكانت الخلافة هي الرابطة السياسية التي ظلت محتفظة وملتزمة في أغلب مراحلها بتطبيق الشريعة الإسلامية وهي مسئولية الأمة - بجوار مسئولية الخليفة - بمؤسساتها القضائية والتعليمية والعسكرية وأهل الإفتاء والحسبة .. إلخ . وكان هذا الفهم والإقتناع دافعاً لقيام حركة مقاومة جريمة أتاتورك الذي ألغى الخلافة - قامت على أكتاف علماء مصر والهند بصفة خاصة بالرغم من القهر الاستعماري .

إن تصحيح المفاهيم ضرورة وواجب لكل من يسهم في كتابة تاريخنا بأمانة ووعي، ويعرف أجيالنا بحقائق الإسلام كعقيدة وشرعية، وليس مجرد عاطفة دينية تقليداً للتصور الديني الكنسي .

والدافع الحقيقي وراء هذا التزوير المتعمد هو المطالبة بخلع العقائد الدينية وإقصائها عن الحياة الاجتماعية والسياسية كما فعل الغرب للأسباب المعروفة في تاريخه، بينما صبح - بالدراسة العميقة الأمانة للدكتور حامد ربيع - رحمه الله - أن المجتمعات الأوروبية حتى في أقصى عنفها ضد الكاثوليكية لم تصل إلى حد رفض الظاهرة الدينية من الحياة اليومية ولكنها اقتصرت على رفض المنظمات الكنسية من أن تشارك في صنع القرار السياسي .

ولنتذكر أن الإسلام لا يعرف المنظمات الكنسية أو الرهبنة الكاثوليكية، وقد تحولت إلى مؤسسات . انه يعرف وحدة في نظام القيم حيث السياسة تصير ديناً والدين يصير سياسة، ولكن من يستطيع أن يفهم من تلك العقول التي سممتها الحضارة الغربية حقيقة تراثنا الحضاري؟^(٢)

(١) محمد رشيد رضا (الخلافة) ص ١٢٥ / ١٢٦ ط الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م وقد

صدر هذا الكتاب لأول مرة سنة ١٣٤١هـ - ١٩٢٢ م .

(٢) الإسلام والقوى الدولية للدكتور حامد ربيع ص ٢٩ ط دار المرقف العربي بالقاهرة سنة ١٩٨١ م .

دوافع الغرب لتحطيم الخلافة :

ومازالت الوثائق تنشر، والحقائق تتضح حول السرّ فى سعى أوروبا إلى إلغاء الخلافة العثمانية، فقد كان الدكتور عبد الرازق السنهورى يعيش فى فرنسا عندما ألغى أتاتورك الدوئى اليهودى الخلافة، فكتب الدكتور السنهورى فى مذكراته: (الإسلام قوى لا تهضمه الجنسية ولا الاستعمار، ويحاول الغربيون أن يحولوا الإسلام إلى مجرد عقيدة لا شأن لها بالقومية) (بالحكم) حتى يسهل عليهم تفريق الأمم الإسلامية وهضم ما استعمروا منها وفناء كل فريق من المسلمين فى جنسية من جنسياتهم - وهذا هو الذى يجب مقاومته اليوم) (١)

ومن الأسرار التى كُشف عنها النقاب أخيراً، تبنى التبشير الأمريكى بالشرق فكرة (القومية العربية)، إذ أسس المبشرون أول رابطة ثقافية قومية عربية (الجمعية السورية لالفنون والعلوم سنة ١٨٤٧ وهى أول مشروع بين أبناء المنطقة وبين المستعربين من المبشرين الأمريكين) (٢) والقومية العربية المسلحة من الدين كانت أقوى الأسلحة لتفرقة الأمة الإسلامية .

وتتضح حقيقة دورهم بطعن الخلافة العثمانية فى الظهر لتفتت وحدة الأمة بتشجيع أول جهد منظم سنة ١٨٧٥ عندما قام خمسة شباب تعلموا فى الكلية السورية البروتستانتية (الجامعة الأمريكية) فى بيروت بتشكيل جمعية سرية (٣) وكثرت بعد ذلك مثل هذه الجمعيات وأخذت على عاتقها المشاركة فى إثارة القلاقل والاضطرابات لإضعاف الخلافة كخطوة أولى لهدمها .

يقول عبد الله التل [وضعت الصليبية الحاكمة نفسها فى خدمة اليهودية العالمية

(١) مذكرته رقم ١٥٣ كتبها فى باريس فى ١٨/١/١٩٢٤م ص ٨٢ من كتاب أصول الحكم فى الإسلام تأليف الدكتور عبد الرازق أحمد السنهورى ترجمة د/ نادية عبد الرازق السنهورى ومراجعة وتقديم د/ توفيق الشاوى سلسلة مهرجان القراءة للجميع (١٩٩٨) - مكتبة الأسرة .

(٢) من كتاب (الحملة الأمريكية - متعربون وسفراء ورحالة) تأليف روبرت كابلان - ترجمة محمد الخولى

ص ٨٥، ٨٦ كتاب الهلال بمصر محرم سنة ١٤١٧ هـ - يونيو سنة ١٩٩٦م

(٣) نفسه ص ٨٦ .

لتسخيرها فى مساعدتها على تحقيق خطط الهدم والتخريب . ومن أجل تحالف قوى الصليبية الأوروبية فى دول عديدة هى بلغاريا ورومانيا والنمسا وفرنسا وروسيا واليونان وإيطاليا، لمحاربة الدولة العثمانية وحرمانها من الهدوء والاستقرار المتفرغ للبناء^(١)

ويحرك ذلك كله عداء الغرب الشديد للأتراك العثمانيين، لأنهم لم ينسوا أن قائدهم الأول فتح القسطنطينية (وكما لم ينس الغرب لصالح الدين الأيوبي استرداده للقدس، فإن الغرب لم ينس أيضاً للفتح فتحه القسطنطينية والقضاء على الدولة البيزنطية، فمازال يوم ٢٩ مايو من كل عام هو يوم حزن عند بعض رجال الدين الغربيين)^(٢)

ونود الإسهام فى تصحيح بعض الأغلاط التى حشى بها الاستعمار وأعدائه كتب التاريخ المدرسية وروجها على ألسنة بعض الكتاب، فإذا صح نقد الخلافة العثمانية فى عهدى الأخير لأسباب داخلية وأخرى خارجية، فلا يصح إغفال عهودها الزاهية الأولى إذ يقول عبد الرحمن عزام بك - وهو مصرى وأمين الجامعة العربية (سابقاً) إركانت القرون الأولى لسيطرة آل عثمان مصوراً ذهبية شمل فيها الناس - الأمن والرخاء والسلام الروحى، ولم يكن فوز آل عثمان كما يظن بعض الناس، مستمداً من سيف وشجاعة، بل مما هو أعظم من السيف والشجاعة احترام الحق والوفاء بالعهد والخضوع لسلطان القانون والشرع، ولو كان الأمر كما يتصوره الذين ينخدعون بآثار الانحطاط من استخدام الطوائف والغيرة بين العناصر والبطش لتغطية الضعف لاستحال أن يدوم ملك آل عثمان ستمائة سنة، منها مائتان لا يسندهم فيها إلا سيف مبتور)^(٣)

وبعد القضاء على الخلافة العثمانية توزعت بلاد العالم الإسلامى على الدول

(١) عبد الله التل : الأفعى اليهودية فى معازل الإسلام ص ٧٦ المكتب الإسلامى - بيروت - دمشق ١٣٩١هـ - ١٩٧١م

(٢) ص ٥٨ من كتاب (العثمانيون فى التاريخ والحضارة) د/ محمد حرب المركز المصرى للدراسات العثمانية بالقاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

(٣) نفسه ص ٢٠٩ .

الاستعمارية شرقاً وغرباً وتمكنت اسرائيل من إنشاء دولتها لان رابطة الخلافة الإسلامية التي جمعت الشعوب قد انفرطت .

ويكفى الإشادة بإحدى مآثر الخلافة العثمانية - أو هي كبرى مآثرها إذا ما قارناها بما نعاية الآن من موان وانكسار بعد زوال الخلافة - فقد ثبت في ضوء المقارنة أن المسلمين قد استفادوا من انضوائهم تحت لواء العثمانيين حيناً، إذ حالت قوة العثمانيين واحتلالهم لممرات الشرق الأوسط في القسطنطينية والسويس والشام والبصرة وجنوب الجزيرة العربية، وكذلك الشمال الأفريقي، دون وصول الاستغلال الاقتصادي والأوروبي وامتداد نطاق الامبراطوريات الغربية الاستعمارية إلى هذه المناطق في وقت مبكر كما حدث في جنوب شرقى آسيا) (١)

(١) ص ٢٤ من كتاب (دراسات في تاريخ العرب الحديث) د/ عمر عبد العزيز عمر ط دار الثغر
بالاسكندرية - نوفمبر سنة ١٩٧١ م.

(٢) مسئولية حضارة العصر عن «زرع» إسرائيل

ولا يعجب القارئ من استخدام لفظ (الزرع) حيث عبر به اللورد هافسبري حقيقة لا مجازاً عام ١٨٣٨م حيث طالب (بزرع مؤسسة يهودية تضمنها القوى العظمى في فلسطين) (١)

وإذا قلنا بأن إسرائيل ثمرة دول الغرب ونتاجها فأننا نستند في حكمنا على دراسة تحليلية تجمع بين الوثائق التاريخية وما يحدث على أرض فلسطين منذ اغتصابها عام ١٩٤٨م باقرار من هيئة الأمم المتحدة .

إن إسرائيل تستند في قيامها نظرياً على الصهيونية السياسية، وعسكرياً على الإمداد الغربى بالسلاح والعتاد، وتغلف ذلك كله بتنبؤات من التوراة لإيجاد المبرر الدينى لوجودها - ويشاركها المذهب البروتستانتي في النصرانية - إستناداً على اسطورة استرداد مملكة إسرائيل منذ ثلاثة آلاف عام !

ولا زالت الاهداف الإسرائيلية ثابتة في الاستيلاء على المزيد من الأرض، تدعمها نصوص من التوراه، فالآيه التي وردت في إصحاح الخلق (للدينك اعطى هذا البلد من نهر مصر إلى النهر الكبير) اصحاح ١٥ آية ٨ وقال موسى ديان في اغسطس ١٩٦٧م (إذا كنا نملك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فيجب أن تكون لنا أيضاً أرض التوراة) (٢)

ويفترض تفسير الآية (وعداً) بمنح اليهود الحق الإلهي في أرض فلسطين واعتبار الشعب اليهودي شعباً مختاراً - أي تفضيل العرق أو الجنس اليهودي - وهذا التفسير العنصري في حقيقته ليس سوى بدعة من بدع القرن التاسع عشر الأوروبي أيضاً وبها برر الغرب سيادته الاستعمارية على شعوب آسيا وإفريقيا وقدم نفسه كصاحب رسالة حضارية من الرجل الأبيض الذي يحقق (التقدم) أينما ذهب ! (٣)

(١) كتاب (ملف إسرائيل) - دراسة الصهيونية السياسية ترجمة د/ مصطفى كامل فوده ص ٢٣ ط دار الشروق ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

(٢) نفسه ص ١٤٨/١٤٩ - نفسه ص ٤٧/٤٩ باختصار - وفكرة (التقدم) هذه صاغها الغرب وفق تطورات الاجتماعية والعلمية والسياسية وانصاعاً للفلسفة المتلقاة منذ أرسطو مؤسس فكرة التمييز العنصرى بين أهل أثينا وغيرهم من (البرابرة) وهو نفس مفهوم اليوم القائم على الطبقة والذي يزعم أن الغرب هو المثل الأعلى للبشرية، فكلما اقترب شعب من الشعوب من الغرب كلما زاد تقدمه وكلما بعد عنه ازداد تخلفه !

(٣) نفسه .

ومع هذا غمن الغريب كما يذكر جارودي أن تقوم الدعاية الصهيونية على أساس أن (دولة إسرائيل هي الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط وعلق على هذه الدعاية مندهشاً بقوله (والديموقراطية الإسرائيلية بشوبها تميز عنصري أساسي كما هو الحال في كل المستعمرات حيث يتمتع الرجل الأبيض وحده بالحكم، ويمكن مقارنة هذه (الديموقراطية الإسرائيلية) العجيبة (بالديموقراطية الأمريكية) التي نادى في (تصريح الاستقلال) بالمساواة بين الناس جميعاً ثم أبقت الرق طيلة قرن بأكمله بالنسبة للسود وأطلقت عليهم (تأدياً منها اسم: المؤسسة الخاصة) كما سمحت بمطاردة الهنود الحمر فكانوا يلبحون ويطرئون ليستولى البيض على أرضهم .

فإسرائيل إذن ديموقراطية إلا بالنسبة (لزنوجهم) و(لهنودهم) الذين تطلق عليهم القوانين الأساسية في إسرائيل - تأدياً منها - اسم (السكان غير اليهود) أي الفلسطينيين سواءً كانوا مسلمين أو مسيحيين) (١) .

واعتمدت الأيديولوجية الصهيونية التي اعتنقها المستوطنون الأوروبيون الذين هجموا على أرض فلسطين على أنهم بالإضافة إلى كونهم ممثلين للشعب اليهودي (مطلبة للحضارة الأوروبية ضد البرابرة والأهالي الذين وجدوهم في فلسطين، ولم يكن موقفهم في هذا مختلفاً بشكل ملحوظ عن بقية الاستعماريين الأوروبيين البيض في العالم الثالث) (٢)

وينفي جارودي الزعم الإسرائيلي بالحق التاريخي بأرض فلسطين، هذه الأسطورة التي خلقتها الصهيونية السياسية خلفاً للمملكة التي أنشئت منذ ثلاثة آلاف عام لم تدم سوى ٧٣ عاماً ثم انهارت كما انهارت الممالك التي أنشئت عقب الحروب الصليبية .

ولا يخفى على أحد أن إسرائيل الحديثة إنما سيطرت بقوة أسلحة الغرب وأموال الغرب وهي بحق (جيب غربي استعماري عنصري في تلك المنطقة) (٣)

(١) نفسه ص ١١٢ .

(٢) ص ٢٢٤/٢٢٤ من كتاب (الإسلام وخرافة المراجعة) تأليف فريد مالايداي ترجمة محمد مستجير - مكتبة مدبولي ١٩٩٧م .

(٣) ملف إسرائيل / جارودي ص ٦٥ .

وسجل التاريخ الحديث أنه منذ البداية رأى هرتزل أن إسرائيل لن تستطيع البقاء في الشرق دون اندماج بالمنطقة (بشرط أن تكون بشكل أو بآخر متتدة من قبل الاستعمار الجماعي الغربي) (١)

وهكذا بفضل سيطرة اليهود وتغلغلهم في الأجهزة الحاكمة الغربية قامت دول أوروبا ثم أمريكا بدورها في فرض إسرائيل على شعوب المنطقة فرضاً فكانت ثمرة من ثمار الغرب وصورة طبق الأصل من (حضارته) ا

ويعرض فرناند بروديل لنشأة إسرائيل والدعم الغربي لها، ثم يأخذ في التساؤل (أليست هذه الدولة الإسرائيلية ثمرة الغرب نفسه . . الغرب الممقوت الكريه؟ ونجاح وتفوق إسرائيل وتفوقها على صعيد التقنيات الحديثة الرائع . . أليس هذا النجاح وهذا التفوق هما ثمرة لرؤوس الأموال التي انهمالت على إسرائيل من كافة أنحاء العالم كله ؟ واستعراضات القوة هذه ضد مصر عام ١٩٤٨م وأيام أزمة تأمين قناة السويس والمسيرة الزاحفة المنتصرة بجيش صغير عبر صحراء سيناء عام ١٩٤٦م إلا يثير كل ذلك الخوف والعداء والغيرة ؟ وكأها إضافات تنضم إلى الصراع القديم) (٢) ولكن بروديل أغفل عوامل أخرى - تعد تدفق رؤوس الأموال ومدّها بالتقنيات الحديثة عوامل ثانوية وتأتي في المرتبة التالية إذا ما استعرضنا الدور الذي قامت به إنجلترا بتأييد دول الغرب، وقد اخترعت اللفظ الاصطلاحي الذي يتستر وراءه الاستعمار، وهو «الانتداب» ووضعت (فلسطين) تحت الانتداب البريطاني ١٩٢٠م بموافقة (عصبة الأمم) .

وأخذت إنجلترا تقمع العرب بكل قسوة إذا ثاروا لما يرونه من اغتصاب اليهود لقطع من وطنهم جهاراً (هكذا ضربتهم بريطانيا سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٢١ وسنة ١٩٢٩... إلخ.

وفي الجهة الأخرى تعين يهودياً بريطانياً صهيونياً ليكون المندوب السامي الأول لملك بريطانيا في فلسطين) . .

(١) نفسه ص ٧٠ .

(٢) فرناند بروديل (تاريخ وقواعد الحضارات) ترجمة وتعليق سفير د/ حسين شرين ص ١١٣ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م .

وأصبح اليهود بفلسطين تحت إمرة حاكم يهودي، وهو أمر لم يحدث لهم منذ نحو ألفي سنة (١)

ويسجل الأستاذ محمد علي علوبة بكتابه (فلسطين والضمير الإنساني) هذه (الفضيحة التي لا تليق بحضارة العصر ومدنية القرن العشرين أن تتواطأ بعض حكومات الأمم الحرة على طرد شعب متجانس من موطن آبائه وأجداده...) وهي أيضاً واحدة من أفظع الجرائم التي يسجلها التاريخ، لأنها ليست إعتداء فرد على فرد أو إخضاع شعب لشعب (وإنما هي طرد أمة آمنة من موطنها دفعة واحدة، ونهب أموالها، وقتيل أفرادها، رجالاً ونساءً وأطفالاً، وتشريد ما بقي منهم، وهو ما وقع في هذا العصر الذي بسمونه عصر النور) (٢)

إسرائيل منتدبة هي قتل الغرب الاستعماري ،

منذ البداية، ونزع منزل نصب عينيهِ اعتماد إسرائيل على دور الغرب إذ لن تستطيع البقاء في الشرق دون الدمج بالمنطقة كما تقدم .

وربما أسهمت المجلثا بأكبر نصيب في هذه الحركة الكبرى التي خانت فيها الشعب الفلسطيني بعد أن كانت (منتدبة) على بلاده حيث التزمت خلال الأوامر العشرة الأولى من الانتداب بسياسة مناصرة الصهيونية كما حددها بلفور بمؤتمر باريس عام ١٩١٩ بنصوح من مدونة ستبقى عاراً في تاريخ بريطانيا والدول الكبرى وإحدى وثائق الإنذارة لحضارة (العصر)، قال (في فلسطين نحن لا ننوي حتى أن نستشير سكان البلاد... فالقوى الكبرى الأربع التزمت بالنسبة للصهيونية، وأن الصهيونية (سواء كانت خيراً أم شراً، سواء كانت مصيبة أو مخطئة) تجد جذورها في تراث قديم وفي ضرورات مباشرة وفي آمال ستأتي، هي أهم بكثير من الرغبات

(١) د/ حسن طائلا (إسرائيل ركييزة للاستعمار بين المسلمين) ص ١٢ ط مجمع البحوث الإسلامية

بالقاهرة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٣ م

(٢) محمد علي علوبة (فلسطين والضمير الإنساني) ص ٤٥ . كتاب الهلال بمصر - مارس سنة ١٩٦٤ م

والآراء المسبقة لسبعمائة ألف عربي يقطنون حالياً في فلسطين) (١)

وقامت كل دولة من دول أوروبا بدورها - بعضها نعرفه والبعض الآخر ربما تم في طي الكتمان . ولا يخفى تأييد الولايات المتحدة وفرنسا لوعده بلقور من باب الاعتبارات العسكرية والسياسية فضلاً عن اعتبارات دينية سنتناولها تفصيلاً .

وتصدمنا الحقائق التي كشفت عنها الوثائق فيما بعد عن دور ألمانيا في عهد (هتلر) الذي صورته الأجهزة الإعلامية التي يسيطر عليها اليهود بأنه العدو اللدود لهم وغالت غلواً كبيراً فيما تنشر عن إعدام الذين أحرقهم أو قتلهم، بينما كان في الحقيقة يؤدي دوراً متفقاً عليه فيما بينه وبين الوكالة اليهودية .

وقد نشر جارودي بكتابه (ملف إسرائيل) بعض أسرار هذه الخطة، إذ تلقى المحفوظات السرية للخارجية الألمانية الضوء على مراحل الاتفاق بين الرايخ الهتلري وبين الوكالة اليهودية بغية تيسير هجرة اليهود الألمان إلى فلسطين، وفي إحدى وثائق الخارجية الألمانية بتاريخ ٢٢/٦/١٩٣٧م يظهر بعض التردد من جانب النازين، وجاء في تلك الوثيقة « هذا الإجراء الذي تمليه اعتبارات خاصة بالسياسة الداخلية، قد يساعد على تدعيم اليهودية في فلسطين ويعجل بإنشاء دولة يهودية فلسطينية) ولكن هتلر نفسه قرر مواصلة السير في هذا السبيل . ويقول المستشار الدبلوماسي كلود يوس في ٢٧/١/١٩٣٨م (مسألة هجرة يهود ألمانيا . . قد حسمت من جديد بقرار من الفوهرر يؤيد الاستمرار فيها) (٢)

ومع هذا فقد استغل اليهود ما أشاعوه من اضطهاد هتلر لهم استغلالاً لا مثيل له إلى الآن بزعم (المحرقة الجماعية) أو (الهولوكوست)، وأدى بهم إلى إقامة مراكز بهذا الاسم بأمريكا في الثمانينات تضم أبنية وأجهزة متخصصة ومعارض وبرامج وأحداث تذكارية ! ونجح اليهود هناك في توسيع دائرة (الهولوكوست) حتى أنشأوا لجنة بهذا الاسم تابعة للرئيس كارتر سنة ١٩٧٩م، وأصبحت تقام صلاة تذكارية

(١) ص ٢٣٨ من كتاب (المسألة اليهودية . القبيلة . الشريعة . المكان .) تأليف إيلان هاليفي ترجمة فواد جريز مكتب الخدمات الطباعية - دمشق سنة ١٩٨٦م .

(٢) ص ٧١ من كتاب (ملف إسرائيل) .

خاشعة بالشموع في القاعدة المستديرة بالكونجرس مع اهتمام إعلامي وسياسي، وسجلت شبكات التلفزيون خلال فترة البث المسائي (الرئيس ريغان وهو يبكي بعدما سمع إعادة لقصص الرعب المألوفة ويخاطب الزعماء اليهود بصوت مرتعش يشبه الهمس ويؤكد لهم (وللدولة إسرائيل الحالية) استمرار دعم أمريكا الحقيقي)^(١) ويكفيها التعليق المناسب على مثل هذا الحدث بواسطة مؤلف كتاب (سرقة أمة) حيث يتعجب ويشاركه مواطنون أمريكيون - عن السبب في عدم إنشاء هيئة لتسجيل الملايين على أيدي الألمان خلال الحرب العالمية الثانية، ثم يصرح بأمانة وصدق عن رغبته مما يدل على التحيز الواضح في إنشاء مثل هذه الهيئة التي تجدد ذكرى ضحايا اليهود دون غيرهم (وإذا كان لدينا المسوغات فعلاً إقامة الهيئات والنصب التذكارية للشعوب والثقافات البريئة، فأين نحن من الهيئة الرئاسية التي تأخرنا طويلاً في إنشائها لإحياء الإبادة الجماعية للهنود الأمريكيين في بلدنا)^(٢) ١٩ إن مثل هذه المفارقة الصارخة تشير الشجن وتقودنا معه إلى معرفة مدى الزيف المصطنع في التعامل مع أجناس البشر والتحيز لجنس دون آخر (إن وجود مثل هذه الصورة الزائفة الساخرة في الحضارة المعاصرة لهو ذكرى مأساوية للفساد والفسوق الذي لا حد له وفقدان الإحساس الشامل لدى الملحدّين من البشر والأمم على كوكبنا)^(٣) ودفع العرب ثمناً غالياً لجرائم لم يرتكبوها - لو صحّت المعلومات عن «المحرقة» - بل عضّ الغرب الأيدي التي حققت له النصر في الحرب العالمية الأولى على ألمانيا، فقد وضع العرب كل إمكانياتهم تحت تصرف جيوش الحلفاء، فالطرق ووسائل المواصلات والموانئ والمطارات كانت في خدمتهم، وكان البترول العربي كله وقفاً على الاحتياجات العسكرية بينما المواطنون يصرفون منه كميات ضئيلة جداً وبالبطاقات !

كذلك اشتركت الجيوش العربية في الأردن والعراق وفلسطين في القتال، وكانت القوات العسكرية المصرية تقوم بأعمال الدفاع الجوي عن النقاط الاستراتيجية، وكانت

(١) من كتاب (سرقة أمة) تأليف وليم و. بيكر وترجمة د/ سهيل زكار وعدنان برنيه ص ١٤٩، ط دار

الإحسان بدمشق ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .

(٢) نفسه ص ح ١٦٠ .

(٣) نفس المصدر السابق .

جيوش إنجلترا وأمريكا وفرنسا تحصل على احتياجاتها من الغذاء والكساء من منتجات العالم العربي وخاصة مصر والسودان والعراق . . .

وبفضل هذه الشعوب وصل الحلفاء إلى النصر النهائي^(١)

وكان جزاؤهم جزاء (سمنار) فهل يليق ذلك بحضارة العصر ؟

إنها حقاً حضارة منزوعة الضمير !

وسجل مؤلف كتاب (العرب) هذه الحقيقة قائلاً (لقد اعترف بلفور بصراحة بأن الغرب قد خدع العرب . . .) وفي موضوع آخر نقل بضعة أسطر من كتاب (أعمدة الحكمة السبعة) للورانس الذي خدع العرب للقيام بثورة ضد الخلافة العثمانية ثم علق عليها بقوله (فإنه لم يكن باستطاعة لورانس كتابة تلك الكلمات دون بعض وخزات من الضمير . . . فإن بريطانيا لم تحقق الوعود التي دفعت العرب للثورة ضد الأتراك)^(٢)

وكانت بريطانيا بارعة في استخدام مبادئ (ويلسون) رئيس أمريكا، إذ بعد شجبه للاستعمار عقب الحرب العالمية الأولى، عاد فأباحه باسم آخر مقبول، أي (الانتداب)، فأصبحت بريطانيا (منتدبة) على أرض فلسطين لذلك فإن مولر - وهو من آخر المفكرين الذين مهدوا للثورة النازية - قد وصم ولسون بالتناق، لأنه زعم (أنه يرفض إلحاق المستعمرات بالدول الفائزة، ولا بتوزيعها على المنتصرين، ولكنه ورع على هؤلاء المنتصرين انتدابات هي في واقع الأمر، مستعمرات)^(٣) .

ثم نكص ولسون على عقبيه بإعلانه الصريح لانضمامه إلى تصريح بلفور .

وفي تعليق للأستاذ/ فتحي رضوان على هذا التحول، يقول :

[والحق أننا لا نرى فيهما فعلة ولسون، من التبشير بمبادئ جديدة، ثم تصور

(١) باختصار من كتاب (إسرائيل وكيزة للاستعمار بين المسلمين) ص ٢٤-٢٥ للدكتور حسن ظاظا .

(٢) ص ١٤٩ من كتاب (العرب) تأليف بيتر مانسفيلد ترجمة انسجام عبدالله فوده - منى فرغلي

ود/ السيد عمر - ط الهيئة العامة للاستعلامات - وزارة الإعلام بمصر ١٩٩٥ م .

(٣) ص ٢٥٦ من كتاب (مع الإنسان في الحرب والسلام)، فتحي رضوان ط دار المعارف بمصر .

القدرة على الوقوف إلى جانبها، ثم خيانة هذه المبادئ، شيئاً غريباً، فولسون لم يكن زعيماً ولا مبشراً ولا نبياً، وإنما كان في مكان هو أسوأ الأماكن جميعاً، للدعوة إلى مبادئ والتبشير بها { . ثم يمضي في تحليل الانحراف باعتبارات السياسة ومصالح دولته^(١) .

ويدعونا تكرار نفس الظاهرة منذ ولسن وحتى الآن إلى التساؤل المعتاد وفق إحدى نظريات فلسفة التاريخ :

هل يعيد التاريخ نفسه ؟

لقد بدأ ولسن بإعلان شعارات (مثالية) برّاقة وكأنها أطواق النجاة للشعوب المقهورة - وتبعه رؤساء أمريكا - بينما الغاية كما تجلّت في الواقع ، هي تحقيق المصالح السياسية والاقتصادية .

بالمثل أيضاً : استبدال كلمة (الانتداب) بـ (الاستعمار)، ثم أصبحت (العولة) هي البديلة في صياغة جديدة: تؤدي وظائف سلفيها - الاستعمار والانتداب - ولكن بآليات أشد إحكاماً !



(١) ص ١٤٧ من كتاب (مع الإنسان في الحرب والسلام)، فتحي رضوان ومن الطريف أنه عنوان الفصل الرابع الذي خصصه لمبادئ ولسن بالكلمات التالية : صحو الموت، مبادئ ولسن ص ١٤١ .

(٣)

تعاون الشرق والغرب على إنشاء إسرائيل

ونقصد بذلك شرق وغرب أوروبا إذ كنا نعيش في وهم خصومة الاتحاد السوفيتي لإسرائيل، ومعاونته للعرب في صراعه ضدنا، وتضخم هذا الوهم الكبير بتصريحات بعض زعماء العرب وإلحاح أجهزة الإعلام في زمن (القومية العربية) والثورات ضد (الرجعية)، ثم مرّت السنوات وتعرّت الحقائق لتسفر عن خدعة من أكبر الخدع في السياسة الدولية المعاصرة .

ولعل معرفة أبعاد هذه الخدعة يسهم في إقناع العرب والمسلمين أن الاعتماد - بعد الله عز وجل - يجب أن يكون على قوتهم وورادتهم وأنه لا أمل بمساعدة تأتي من الشرق أو الغرب، بعد أن ضبط الروس متلبسين بالجريمة، بل ربما زادت عن جريمة الجناح الغربي لأنها تخفّت وراء الصداقة وطعنت طعنتها القاتلة في الظلام . وهذا الإجمال يتطلب معرفة بعض التفاصيل كي تعي الأجيال الجديدة تاريخها بدقة وتتعلم الدروس وأولها أن الكيان الإسرائيلي قام - فضلاً عن الحديد والنار - بالمكر والخداع أيضاً، فنحترس من الوقوع في شباكه مرة أخرى . وقد نشرت بعض الوثائق عن تعاون أقطاب الحركة الماركسية مع أقطاب الحركة الصهيونية ^(١).

منها ما صرّح به الحاخام (لويز برونس) الذي يؤكد في كتابه «أغرب من الخيال» ما يلي :

«إن كارل ماركس حفيد الحاخام مردخاي ماركس كان في روحه واجتهاده وعمله ونشاطه وكل ما قام به وأعد له من فكر وأسلوب أشد إخلاصاً لإسرائيل من الكثيرين الذين يتشدّقون اليوم بأدوارهم في مولد الدولية اليهودية» ^(٢)

(١) ص ٣٠ من كتاب (موسكو وإسرائيل) للدكتور عمر حليق، ط الدار السعودية للنشر والتوزيع بدون تاريخ

(٢) نفسه ص ٣١ .

وبعد استلام الشيوعيين للحكم بعد الثورة، برئاسة «لينين» أصدرت حكومتهم قراراتين رئيسيين : أولهما : اعتبار العداء لليهود جريمة يعاقب عليها القانون . . . والثاني : التأييد الكامل لحق اليهود في وطن قومي لهم في فلسطين^(١).

وبلغ الدهاء أشده في النداء الموجه إلى الشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفيتي للمؤاخاة بينهم مع بني عمومته من العرب - واليهود ضد (الاستعمار البريطاني) والرجعية).

وجاء في البيان (المانيفستو) الصادر من مؤتمر (باكو) موجهاً إلى الشعوب الإسلامية :

إيا شعوب الشرق : أيها الجماهير المناضلة: إنكم تملكون أغنى بقاع العالم، وأخصبها وأوسعها، وهذه البقاع كانت مهد الإنسانية ومستودع الغذاء لبقية الشعوب الجائعة ..

. . . إن الاستعمار والرجعية هي التي تفترسكم، وهي السبب في تخلفكم . . . انظروا، ما فعلت بريطانيا في مصر وبلاد العرب وفي ما بين النهرين فأحرقت الحرث والأنفس وأخذت البترول . . .

« .. انظروا ما فعل الاستعمار البريطاني في فلسطين، لقد ساعدوا اليهود (الأبرياء)! .. فإذا استمر العداء فستضعف قوى الطرفين العربي واليهوي ليسود الاستعمار البريطاني والرجعية العربية عليهما معاً، وتتمزق صفوف الجماهير العربية واليهودية معاً .. »^(٢)

(ونقلت جريدة «كول هاعام» عدد ١٣ ديسمبر ١٩٦٥م نص مقال هام صدر في كبرى السنة الحكومة التشيكوسلوفاكية «مجلة مازينارودفي بوليتكا» الشهرية عن «القوات العسكرية الإسرائيلية» وهذا المقال يشرح بالتفصيل تكوينات الجيش

(١) نفسه ص ٣١ .

(٢) نفسه ص ٤٠-٤١، نقلاً عن النص الرسمي في مجموعة وثائق الكومترن باللغة الإنجليزية، طبعة موسكو، مجلة الكومترن ٢٠ ديسمبر ١٩٢٠م .

الإسرائيلي ويطلب عليه وبشتى أعمق الشاء، ويؤكد بأن الروابط التاريخية التي جمعت بين القوات الشيكوسلافية وبين جيش التحرير الوطني اليهودي (الهاجانه) أيام حرب الاستقلال اليهودية ضد العدوان العربي الرجعي عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩م لم يعترها أي فتور، وأن العلاقة والزمالة بين المعسكر الاشتراكي بزعامة السوفييات وبين إسرائيل لا يمكن أن تتأثر بسبب معونة المعسكر الاشتراكي للنظم التقدمية الاشتراكية العربية كالجمهورية العربية المتحدة لإنجاح التحويل الاشتراكي في كل العالم العربي، فمثل هذا التحويل ضروري لسلامة إسرائيل^(١).

{ في ٢٣ يونيه ١٩٦٤م أجرى مراسل جريدة «معاريف» التي تصدر في تل أبيب حديثاً صحفياً مع الملحق العسكري السوفياتي في باريس (أثناء زيارة رئيس وزراء إسرائيل ليفي اشكول لشراء السلاح الفرنسي لإسرائيل) وجاء في هذا الحديث التصريح التالي، الذي لا يصدره المسئولون السوفييات أبداً بدون موافقة المراجع العليا في موسكو :

« في استطاعة إسرائيل أن تشتري السلاح أيضاً من الاتحاد السوفياتي وليس فقط من المصادر الغربية .. القضية بالنسبة لنا هي المتاجرة بالسلاح في صفقات تجارية، فنحن نبيع للجمهورية العربية المتحدة ولغيرها من الدول التي تبحث عن السلاح .. وليس في تعاملنا التجاري بالسلاح مع مصر أي التزام بالنسبة للمشكلة الفلسطينية .. فنحن على أتم الصلات مع إسرائيل .. ولم يصدر ولن يصدر عنا أي عمل أو معونة أو تواطؤ مع مصر أو مع غيرها للإضرار بالكيان السياسي المستقل لإسرائيل .. هذه هي القاعدة الحفائية في السياسة السوفياتية نحو الشرق الأوسط .. إننا نشارك العرب في مكافحة الاستعمار والرجعية العربية فقط .. ولا نشاركهم ولا يمكن أن نشاركهم في العدوان على إسرائيل^(٢) .

وسجل مراسل جريدة «النيويورك تايمز» في أوروبا الشرقية في عدد ٣٦ ديسمبر ١٩٤٨ ما شاهده في معسكرات التدريب العسكري التي أقامها السوفييات لليهود

(٢) نفسه ص ٤٢١ .

(١) نفسه ص ٤٢٠-٤٢١ .

وغير اليهود من العناصر الإرهابية ومن وحدات الجيش اليهودي أيضاً التي نقلها السوفييات بطائراتهم إلى القطاع الذي احتله اليهود من فلسطين . وفي معسكر واحد فقط استطاع هذا المراسل الأمريكي أن يحصى حوالى ٦٠٠ مقاتل وضابط يهودى وشيوعى يدرّبهم السوفييات هناك للغدر بعرب فلسطين العزل (١) .

وهكذا يتضح كيف اکتونا من جناح هذه الحضارة الشرقي المتمثل في الاتحاد السوفياتي سابقاً؟! فقد خدع زعماءنا وشعوبنا، وتجرّعنا على يديه السم الذي قدّمه لنا في عسل النظم الاشتراكية الملحدة وكنا قد خرجنا في التّو من احتلال قوات الغرب (وعلى رأسها الجبلثرا وفرنسا) فكنا كمن استجار من الرمضاء بالنار . . وسجلت أعلام المؤرخين اشتراكهم بالخدعة في **نكبة القرن (عام ١٩٦٧م)** وصرّح جمال عبدالناصر حينذاك أن السفير السوفياتي قد أيقظه (عند الساعة الثالثة صباحاً) ليناشده عدم إقدام مصر على إطلاق الرصاص الأولى (٢) .

ويفسّر وجيه أبو ذكرى الاستجابة لهذا المطلب - أى عدم البدء بالضربة الأولى - باعتقاد عبد الناصر (أن الاتحاد السوفيتي سيحارب مع مصر في حالة التزام مصر ضبط النفس (١) (٣)

وكانت الخديعة الكبرى التي أسهمت في النكبة، فهل يمكن أن يغامر بحرب عالمية ثالثة من أجلنا ؟ (٤)

ودأب الاتحاد السوفيتي على الخداع منذ وثق عملاته ببعض البلاد العربية، ففي الاعتداء الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م (لم تصدر موسكو أى انذار لإسرائيل يوم كانت جيوشها تنسف الأبرياء في سيناء بل أن الانذار السوفياتي جاء بعد أن انتهت إسرائيل من تحقيق كل مطامعها من معركة القنال - وهو فتح الملاحه في مياه العقبة

(١) نفسه ص ٣٩٢ .

(٢) ص ٣٦٨ من كتاب (في أصول النكبة العربية) للدكتور عمر حليق ط دار السعودية للنشر / جده ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م .

(٣) وجيه أبو ذكرى (مذبحة الأبرياء) ص ٢٦١ المكتب المصري الحديث سنة ١٩٨٨ م

(٤) نفسه ص ٢١٣ .

والبحر الأحمر للمواصلات الاسرائيلية البحرية) .

وبعد معركة القنال ببضع سنوات اتضح أن موسكو لم تكن أبداً عازمة على التدخل العسكرى فى جانب مصر ضد اسرائيل (هذا ما أعترف به الرئيس عبدالناصر نفسه بلسان محرر «الأهرام» الذى كان حاضراً مفاوضات عبد الناصر - خروتشوف فى موسكو يوم حصل العدوان الثلاثى على مصر . فكل ما اكده خروتشوف لعبد الناصر هو استعداد موسكو للمثاقرة الدبلوماسية فى صالح مصر ضد الاستعمار، البريطانى الفرنسى . أما تدخل السوفيات عسكرياً فى جانب مصر ضد العدوان الثلاثى وضد اسرائيل بصفة خاصة فقد استبعده خروتشوف فى صراحة تامة . (١)

هذا، وقد اقتصرنا فى الصفحات السابقة على التعريف بمسئولية حضارة العصر عن إقامة دولة باسم (إسرائيل) فى قلب العالم العربى والإسلامي .
ويعزّ علينا أن نمرّ مرور الكرام على فاجعة ضياع فلسطين - بالاكثفاء بهذا القدر - لأن فى أعناقنا مسئولية تعريف أجيالنا الجديدة بالحقائق، لأنها تلقّت تاريخ هذه النكبة مشوّهاً فى أغلب ممفحاته .
ونسأل الله العون على كتابة بحث مستقل عن هذه الكارثة التي حلّت بأمة الإسلام (٢) .

(١) ص ١١٢ من كتاب (موسكو وإسرائيل) د/ عمر حليق .

(٢) سنصدر بمشيئة الله تعالى كتاباً بعنوان (نكبة فلسطين من منظور فلسفة التاريخ) .

(٤)

حضارة العصر... صانعة الإرهاب

إن من أعجب ما نقرأه ونسمع عنه هو إلصاق تهمة (الإرهاب) بكل من هو مسلم، بينما حقيقة الإرهاب انه صناعة إستعمارية غريبة استخدمه الغرب فى إخضاع الشعوب لسيطرته بالقوات العسكرية التى لا تعرف ولا تستخدم إلا الحديد والنار لقهر الشعوب المغلوبة على أمرها !

وأمانا - فى مطلع القرن الواحد والعشرين الميلادى مشاهد جرائم إسرائيل مع أهل فلسطين ومخازى الصرب مع المسلمين والمسلمات فى البوسنة والهرسك، ووحشية الروس مع الشيشان: وكلها تتفق فى اكتساح المدن وحرقتها وأعمال الإبادة والاغتصاب مما يندى له الجبين .

وإذا علمنا أن إسرائيل من (زرع) «حضارة» الغرب أيضاً، فلا يدهشنا إستخدام سلاح الإرهاب، فى اغتصاب أرض فلسطين بعد تدمير القرى والمدن وقتل المدنيين من النساء والأطفال والشيوخ، ونسف المساكن وإحراق المزارع، وكل ذلك للتعجيل بتحقيق أمر واقع بالقوة وبغير حق وكان شعار ييجن الارهابى السفاح (قال ديكارت أنا أفكر فأنا إذن موجود، وأقول: أنا أقتل فأنا إذن موجود) (١)

أرايتم إرهاباً أكثر إجراماً ووقاحة من هذا الإعلان الذى يعبر عن استخفاف بكل القيم والأعراف الإنسانية ؟ !

لقد أصبح القتل غاية لإثبات الوجود - أى على اشلاء سكان فلسطين الأصليين أصحاب الأرض المغتصبة .

وكانت هذه «الدولة» اليهودية تحتل ضعف ما خواته لها قرارات التقسيم التى صدرت عن الأمم المتحدة، وثلاثة أضعاف المساحة التى اقترحتها الكونت برنادوت . هذا فضلاً عن عقارات وأموال لعرب فلسطين تركوها يوم شردهم الغدر

(١) ص ٣٩ من كتاب «الصهيونية والعنف» للرائد حين الطنطارى دراسة علمية بعد حرب أكتوبر ط دار الشعب سنة ١٩٧٤ م .

اليهودى الإرهابى الذى مارسه العصابات اليهودية على الأسلوب الماركسى الإرهابى، والذى اتقنته الحركات اليسارية الثورية فى الاتحاد السوفياتى وأوروبا الشرقية - وهى مسقط رأس الاغلبية الساحقة من الزعماء والقادة العسكريين الصهيونيين الذين تولوا إرهاب عرب فلسطين والغدر بهم - من بن غوريون إلى مانيويلكى هوشه منه، ومناحيم بيجام، ومثالث غيرهم من كبار الإرهابيين وصغارهم، الذين وردوا من روسيا السوفياتية قبل عام ١٩٤٧ ومولد النكبة الفلسطينية، كما وردوا مدججين بالسلاح والتدريب الإرهابى فى أوج الصراع العربى - اليهودى المسلح فى اعوام ١٩٤٧ و ١٩٤٨ (١)

إنها وقائع (الإرهاب) المتكررة بواسطة الغرب التحضر، وكثيراً ما يقع بعد عقد معاهدات، وذلك منذ إبادة المسلمين من أسبانيا : يقول جوستاف لوبون : [وعاهد فرديناند العرب على منحهم حرية الدين واللغة، ولكن سنة ١٤٩٩م لم تكند تحل حتى حل بالعرب دور الإضطهاد والتعذيب الذى دام قروناً . والذى لم ينته إلا بطرد العرب من إسبانية، وكان تعميد العرب كرهاً فاتحة ذلك الدور، ثم صارت محاكم التفتيش تأمر بإحراق كثير من الممعمدين على أنهم من النصارى، ولم تتم عملية التطهير بالنار إلا بالتدريج لتعذر إحراق الملايين من العرب دفعة واحدة، ونصح كريدنال طليطلة الثقى، الذى كان رئيساً لمحاكم التفتيش، بقطع رءوس جميع من لم يتنصر من العرب رجالاً وشيوخاً وولداناً، ولم يرَ الراهب الدومينيكي، بليدا، الكفاية فى ذلك فأشار بضرب رقاب من تنصر من العرب ومن بقى على دينه منهم، وحجته فى ذلك أن من المستحيل معرفة صدق إيمان من تنصر من العرب، فمن المستحب، إذن، قتل جميع العرب بحد السيف لكى يحكم الرب بينهم فى الحياة الأخرى ويدخل النار من لم يكن صادقاً النصرانية منهم، ولم ترَ الحكومة الإسبانية أن تعمل بما أشار به هذا الدومينيكي الذى أيده الإكليروس فى رايه لما قد يئديه الضحايا من مقاومة، وإنما أمرت، فى سنة ١٦١٠م، بإخلاء العرب عن إسبانية، فقتل أكثر مهاجرى العرب فى الطريق، وأبدى ذلك الراهب البار، بليدا، ارتياحه لقتل ثلاثة أرباع هؤلاء المهاجرين فى أثناء هجرتهم، وهو

(١) ص ٣٥٧ من كتاب (موسكو وإسرائيل) للدكتور عمر حليق. ط - دار السعودية للنشر بدون تاريخ.

الذى قُتل مئة ألف مهاجر من قافلة واحدة كانت مؤلفة من ١٤٠٠٠٠ مهاجر مسلم حينما كانت مُتجهَةً إلى إفريقية (١)

وختاماً لهذه الفواجع، نهنئ المأساة بما قرره لوبون : أوخسرت إسبانية بذلك مليون مسلم من رعاياها فى بضعة أشهر، ويُقدَّر كثير من العلماء، ومنهم سيديو، عدد المسلمين الذين خَسِرْتَهُمْ إسبانية، منذ أن فتح فرديناندُ غِرْنَاطَةَ حتى إجلائهم الآخر، بثلاثة ملايين، ولا تُعدُّ ملحمةُ سان بارتلمى إزاء تلك المذابح سوى حادثٍ تافه لا يُؤبه له، ولا يسعنا سوى الاعتراف بأننا لم نجد بين وحوش الفاتحين من يؤاخذ على اقترافه مظالم قتلِ كذلك التى اقترفت ضدَّ المسلمين .

وبما يُرى له أن حُرِّمت إسبانية عمداً هؤلاء الملايين الثلاثة الذين كانت لهم إمامة السكان الثقافية والصناعية { (٢)

صور من الإرهاب فى العصر الحديث

وكذلك يسرد مؤلف كتاب (العذاب الذى لاقاه المسلمون على أيدي الغرب) أحداثاً رهيبية، وسجل أبشع وقائع الإرهاب والقرصنة، ويلفتنا إلى أن أمريكا لها باع طويل أيضاً فى الاسهام بجرائم الاستعمار بشكله القديم، على غير الشائع عنها بأنها رائدة الاستعمار الجديد !

وامتد نشاطها الاستعمارى منذ القرن التاسع عشر بعقد معاهدات مجحفة بالخليج العربى والتبشير بالمسيحية وراء ستار التمريض وبناء المستشفيات لاصطياد المرضى والمحتاجين .

ونجحت أمريكا فى إنشاء أول جامعة أمريكية فى بيروت سنة ١٨٦٦، وكونت منظمتان للتبشير (الأولى هى «المرسلون الأمريكيون» والثانية هى «جمعية التوراة الأمريكية» فكان شعار الجمعية الأخيرة هو «نشر المسيحية فى العالم كله فى حياة جيل واحد» (٣)

(١) حضارة العرب، ترجمة عادل زيمطير ص ٢٧٠/٢٧١ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة ١٩٦٩م

(٢) نفسه ص ٢٧١ .

(٣) ص ٤٧ من كتاب (العذاب الذى لاقاه المسلمون) تأليف عميد مهندس كامل الشرقاوي - مطابع الاهرام ١٩٩٨ م .

أما الإرهاب الأمريكى فى إندونيسيا فإنه سلسلة من المآسى والفواجع ونكتفى بوحدة منها، عندما استاء سكان سومطرة من تهريب الأفيون والويسكى وفتح أمريكا لجنودها بيوت الدعارة، فانطلقت بأوامر وزير البحرية الأمريكية سفينة حربية ضخمة إسمها (بوتاماك) ونزلت منها فصيلة من المارينز (البحرية الأمريكية) ودكت البيوت دكا وحصدت الأرواح حصداً بينما كان الأهالى خارجين من المساجد عقب صلاة الفجر، وكتب قائد الفصيلة الأمريكى إلى وزارته يصف المأساة ليعلن بفخار انه (تم تحويل المدينة كلها تقريباً إلى أنقاض وأكوام من الرماد، وأغلبية البيوت الكبيرة لم يبق منها غير الأنقاض) (١)

ومن الصفحات المجهولة فى تاريخ استعمار بريطانيا لمصر سنة ١٨٨٢م - أن أمريكا اشتركت بأربع قطع بحرية كبيرة مع الأسطول الانجليزى (وتسببت فى تدمير الإسكندرية وقتل عشرات الآلاف من المصريين بعد القصف العشوائى للمدينة) (٢)

ونكتفى بهذا القدر لإيقاظ الوعى بما يدور حولنا ونطالعه ليل نهار، ولا نندهش إذا نظر العالم الغربى إلى الروس وهم يحولون مدينة جروزنى إلى أنقاض ويقتلون الشيوخ والنساء والأطفال فى الشيشان فتلك عادة القوم، وهذه طبيعتهم التى لا تستنكر أية جرائم، طالما أنها تمارس فى بلاد العالم الثالث - وأغلبه من المسلمين، بل بما يزعج الانسان أن هذه الأعمال تُعد من المفاخر فلا يجد الأمريكان بأساً (حتى يومنا هذا فى نشيدهم الوطنى لمشاة البحرية بالتغنّى بمعركة (درنة بليبيا ١٨٠٥م) قائلين «من تلال مونتيسوما إلى سواحل طرابلس، فى السماء، وفى الأرض، فى البحر خضنا معارك الوطن» (٣)

وتكررت أعمال الإرهاب الشيع فى بلاد الجزائر وتونس وليبيا والجزائر . . وفى سنة ١٨١٤ (أمطرت سفن الأسطول الأمريكى مدينة الجزائر بالقنابل والقذائف من القنابل الثقيلة وقدر عدد القتلى بعشرات الآلاف) (٤)

أما فى تونس، فقد كتب «سبيرس» المؤرخ الأمريكى المختص بالبحرية الأمريكية يقول عام ١٨٩٧م - أى بعد دخول تونس بنحو ٩٠ عاماً يقول (لم تخف أمريكا

(١) نفسه ص ٥٣ .

(٢) نفسه ص ٤٥ .

(٣) نفسه ص ٢٥ .

(٤) نفسه ص ٢٨ .

اعتداءاتها على شعوب العالم الإسلامي، ولم تستطع أن تصور للعالم أنها صديقة العالم الإسلامي .. وأنها حجة للسلام وصديقة الإسلام الدائمة .. وتحت القصف العشوائي لمواسير مدافع السفن الأمريكية أملت على حاكم تونس شروط الصلح، وهو ما لم يحدث له مثيل من قبل (١)

الإرهاب الروسى

وأما ما فعله الاتحاد السوفيتى وبلاد أوروبا الشرقية فى المسلمين فلا يكفى الإحاطة به مجلدات. ولقد عانى المسلمون أكثر من غيرهم فى ظل هذه الأنظمة الجائرة، وكان هدفها الثابت ربحهم عن دينهم وإلقائهم فى أتون الإلحاد منذ قام الشيوعيون بالثورة واءتلمعوا بالحكم فى روسيا (وكان إثناء المسلمين والقضاء على الإسلام فى رأس قائمة الأعمال التى ينورنها لأن الشيوعية هى بنت اليهودية الفاجرة واليهود يعلمون بأن المسيحية لا تستطيع أن تقف تعاليمها وتاريخها أمام اليهودية لأنها هى ذاتها فرع من اليهود وتشريعها هو التشريع اليهودي ذاته، ولكنهم يخشون الإسلام لأنه هو الدين الوحيد الذى يستطيع أن يقف فى وجه اليهودية وغير اليهودية من الديانات والعقائد أو من الأديان السماوية ومن الأديان الأرضية) (٢)

ولو انتقلنا من إرهاب الدول التى تملأ أجهزة إعلامها أدمغة العالم بالصراخ عن حقوق الإنسان ورعايتها له بينما هى لا تتورع عن اغتياله إذا سمحت لها الفرصة وجدت فى ذلك مصلحة لها، انتقلنا إلى إرهاب الجماعات لتبين أنها تنتمى إلى دول الغرب أيضاً، وقد عدَّ الأستاذ/ شريف الشوباشي بعضها خلال العشرين عاماً الماضية فقط، فمن أشهرها جماعة من بادر - ماينهوف فى ألمانيا الغربية، والالوية الحمراء فى إيطاليا، والعمل المباشر فى فرنسا، والإيتا فى أسبانيا، وجيش التحرير السميونيزي فى أمريكا وجيش التحرير الأيرلندي ... وهناك أيضاً منظمة غربية سرية تدعى «السيف» ..

(١) نفسه .

(٢) ص ٩٠ من كتاب (المسلمون أمام لتحدي العالمي) للدكتور إحسان حقي بيروت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، وتشير د/ ريتب عبدالعزيز إلى التحالف السياسي بين اليابان وبين اليهود لضرب ما يطلقون عليه «العدو المشترك» ومع نفيها لتحقيق ذلك لأن الله حق ووعده حق و (الدين عند الله الإسلام) ص ١٠٤ تنصير العالم .

وأضاف إلى ذلك أن الجماعات الصهيونية هي التي تمارس الإرهاب في الشرق الأوسط، ومنها (انفجار فندق الملك داود واغتيال الكونت «برنادوت» مبعوث الأمم المتحدة، واغتيال وزير الدولة البريطاني «لورد موين»، وانفجار أول لغم ناسف في وجه الضابط المصري الشهير «مصطفى حافظ»)^(١) .

* * *

(١) شريف الشوباشي (هل فرنسا عنصرية) ؟ ص ١٨١ مطابع الاهرام ١٩٩٢ م .

(٥)

نهب ثروات الشعوب وإجهاض حركات النهضة الذاتية

لا يحتاج المرء إلى الاستدلال على استغلال الغرب لثروات الشرق، ونحن نعيش واقع استغلال أهم ثرواته: البترول، التي تتحكم فيه شركات البترول العالمية (وكيف تحايلت للحصول على أكبر المنافع من الدول المنتجة والدول المستهلكة، سالكة في ذلك كل الطرق حتى القضاء على الشركات الصغرى وتهديد أمن الدول)^(١)

ولا ننسى واقعة تأميم إيران للبترول في عهد مصدق عام ١٩٥١م الذي فجر النزاع بينها وبين إنجلترا، واتضح بصورة جلية مدى أنانيتهما واغتصابهما لحقوق الشعب الإيراني بشروط مسجفة (ولقد جاء في رسالة من الدكتور «مصدق» إلى المستر «تشرشل» أن الدافع على التأميم هو الرغبة في تحسين الأحوال الاقتصادية، ذلك أنه خلال المدة التي تولت فيها الشركة استغلال موارد إيران لم تكن مستعدة إطلاقاً للنظر في حقوق الشعب الإيراني ومراعاتها، حتى طبقاً (لامتياز دارسي) واتفاق عام ١٩٣٣م غير المشروع)^(٢)

ولما كان التأميم ضربة عنيفة لإنجلترا إذ حرّرها من مورد ضخم، حرّكت أذنانها وقام الجنرال «زاهدي» فاطاح بحكومة مُصدّق الذي حوكم وصدر الحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات^(٣)

وكان الرجل مصراً على الاستمساك بمصلحة بلاده أمام العروض والوساطات التي قامت بها أمريكا حينذاك .
يقول الدكتور حسين مؤنس :

(إن خبرات الدنيا تنصب إلى الغرب فتتحول إلى مصنوعات وتعود إلى بلاد غير

(١) ص ١٥٨ من كتاب (بترول المسلمين ومخططات الغاصيين) د/ عيسى عبيد ، تقديم/ أحمد إسماعيل يحيى دار المعارف سنة ١٩٨٣م .

(٢) نفسه ص ١٩٢ .

(٣) نفسه ص ١٩٦ ، ودارسي هذا هو (ويليام نوكي دارس) مغامر إنجليزي حصل على امتياز من شاه إيران في ١٩٠١/٦/٢٨م، ونصوص الامتياز - كما ذكر الدكتور/ عيسى عبيد - تبين بجللاء مبلغ الغبن الذي وقع على إيران مما جعل كاتباً محايداً هو (أنتوان موهر) بصفة بأنه أغرب امتياز من نوعه في تاريخ الأزمنة الحديثة ص ١٥٥ .

المتحضرين - بمفهوم الأوربيين إذ ذاك - في إفريقية وآسيا لتباع بعشرات أمثال أثمانها الأولى) ...

وعلى سبيل المثال كانت تخرج من موانئ الهند وحدها كل سنة عشرة آلاف سفينة معظمها إنجليزية محملة بمحاصيل الهند تُشترى بأبخس الاسعار، ثم تُعاد مصنّعة بالثمن الذي يراه الرأسمالي البريطاني .

إنها عملية استنزاف لخيرات الهند (كانوا يقولون قبل أن يعرفها الإنجليز إنها أغنى بلاد الدنيا، ثم تحولّت شيئاً فشيئاً أثناء الاحتلال إلى أفقر بلاد الدنيا) (١) .

وبعد ذكر نماذج مماثلة لتصرفات الدول « المتحضرة » التي جعلت من إفريقية وآسيا مزارع ومجالات للإستغلال لأهل الغرب، أو إستيلاء أمريكا على ما تريد من أراضي المكسيك واحتكارها لكل نشاط أهل أمريكا الوسطى والجنوبية، يعلّق الدكتور حسين مؤنس في النهاية بقوله : (بهذا المال المنهوب أعادت أوروبا بناء نفسها . فتجددت مدنها وموانئها وفُرشت أراضي هذه وتلك بمكعبات البازلت التي كان أهل المستعمرات يُجلبون كالبهم لتسويقها، فتألفت باريس ولندن على الخصوص من برداء خلاّب يدعو إلى العجب دون أن يفكر غربي واحد في آلام المساكين الذين عُصرت دماؤهم لتبني بها هذه الحضارة) (٢) .

وكذلك الدراسة العلمية التي قام بها الدكتور عيسى عبده رحمه الله لنيل درجة الدكتوراه أدّت به إلى تحذير المسلمين من الغاصبين الذين (يترقبون كل فرصة لهم في أرض المسلمين وفي ثرواتهم المستكنة في أوطانهم. . . وهم يتعقبون المنافع لاستنزافها، على حين يدخرون ما في بطون أرض أوطانهم حين تنضب آنية المسلمين ويجف ما في جيوبهم من موارد) (٣)

(١ - ٢) الحضارة ص ٣٣١، د/ حسين مؤنس، ويقول أيضاً بكتابه « التاريخ والمؤرخين » { حطّم المستعمرون كل الصناعات التقليدية التي اعتمدت عليها أهل المستعمرات طوال تاريخهم قبل الاستعمار، لكي يفرضوا منتجاتهم ويبيعونها بالسعر الذي يريدون، ص ١٣٥ ط ناز المعارف مصر سنة ١٩٨٤ م .

(٣) نفسه ص ٢٥٤ ويقول د/ أحمد إسماعيل يحيى (ومن عجب أن نرى المسلمين اليوم يهرعون بأموالهم لكي يودعوها في مصارف الغرب ويستثمروها في تنمية بلاد غير بلادهم، بل هي بلاد تحارب المسلمين في عقيدتهم وأوطانهم ١ ص ١٩

وللقارئ صورة من صور تعامل الدول الإستعمارية مع الشعوب المقهورة - تجمع بين استعباد البشر والظلم البين : { فإن بريطانيا التي جندت بضعة ألوف من أهل الهند بلغت في سنة ١٩١٨ - ٩٨٥ ألفاً - ودفعت بهم إلى أتون الحرب ، والتي أخضعت اقتصاد الهند وكل شيء فيها خلال الحرب لاعتبارات تلك الحرب . . } لم تكافئ الهنود ولو بكلمة شكر بل أخذت في إصدار القوانين لمدّ الأحكام العرفية وجعلت الحكام العسكريين حكام البلاد الشرعيين ، وعندما احتفل الهنود الهندوكيون بأحد أعيادهم في أبريل سنة ١٩١٩ ظناً أن الاجتماعات الممنوعة هي الاجتماعات السياسية وحدها - لا الدينية - أصدر الجنرال الإنجليزي (ناير) أمراً لجنوده بإطلاق النار عليهم وبلغ عدد القتلى نحو ستمائة ، وزاد عدد الجرحى عن ذلك بكثير (١) .

وتعد عمليات نهب ثروات الشعوب واستغلالها أمراً هيناً بالمقارنة بتجارة الرقيق التي زاوها الإنجليز وأقاموا إمبراطوريتهم التي لا تغيب عنهما الشمس بأرجائها الترابية وقد قارن الديمور / محمد عوض محمد بينها وبين حروب الأفقون مع الصين ، فكتب - بينما تكاد السطور تضح من الغضب المزوج بالازدراء (والحقيقة أن حرب الأفقون - على بشاعتها وحشيتها وبعدها عن أبسط معاني الإنسانية - لا تعدوا أن تكون حلقة من سلسلة نظائرها من الأعمال الإستعمارية ومن قبل حرب الأفقون بقرون انهمك الإنجليز في تجارة الرقيق ، فكانت سفنهم وعصباتهم تُغير على سواحل إفريقيا الغربية وتختطف السكان الأمنيين مجموعات مختلفة ، فيها الشيخ الهرم والمعجوز الشطّاء والشبان والشابات والصبية والرُضع والنساء الخوامل ، تُسجن كلها في بطون السفن ، ثم تباع في أسواق الأمريكتين كما تباع السلع .

وقد مكف الإنجليز على هذه التجارة التي احتكروها عدة قرون وجمعوا منها الثروات الطائلة واستخدمت هذه الثروات في بناء الأساطيل وقبول المصانع ، وبناء تلك الإمبراطورية الترابية الأطراف . وبعد أن شبت البطون البريطانية ، واتخمت من تجارة الرقيق أخذ أصحابها ينادون بأنها تجارة وحشية ، وعمل منافع للإنسانية وأخذوا يفخرون بأنهم أول من ألغى الإتجار بالعبيد (٢)

(١) (مع الإنسان في الحرب والسلام) فتحي رضوان ص ١٧٨ / ١٨٠ ط دار المعارف بمصر .

(٢) ص ١٠٤ من كتاب (الإستعمار والمذاهب الإستعمارية) د/ محمد عوض محمد ١٣٧٦هـ دار المعارف بمصر ط ٣ سنة ١٩٥٧ .

إجهاض حركات النهضة الذاتية :

يرى (روجيه دوباسكويه) أن هناك اتجاهاً دائماً للمبالغة في الزعم بعقم الحضارة الإسلامية والتسهيل من شأنها خلال القرون الأربع الماضية مع أن أبداع عمارة للمساجد مثل تلك التي بناها سنان في تركيا، أو مسجد الشاه في أصفهان ترجع للقرنين السادس والسابع عشر، وإحدى أعظم الإنشاءات المعمارية على مر العصور تاج محل بناء أمير مسلم في أجرا في الهند في عهد لويس الرابع عشر، كذلك لم تكن عبقرية الحضارة المغولية مبنية عندما سقطت تحت السيطرة الغربية . . . (١)

ويقول حيدر بامات (من الخطأ أن يزعم، كما فعل بعض المؤلفين، أن العالم الإسلامي عاد لا يعرض غير طور من الانحطاط منذ أواخر القرن الثالث عشر، فقد عرف مختلف الدول التي صدرت عن دولة الإسلام أدواراً رائعة من النهضة دامت قروناً في بعض الأحيان، وذلك قبل أن تنتهي، تحت ضربات أوروية المتحالفة وضربات روسية في القرن التاسع عشر إلى هذه الحال من الانحطاط العميق التي تسير قدماً للخلاص منه، فإذا ما أُلقيت نظرة شاملة على مصائر هذه الدول كانت لنا فكرة أكثر صواباً عنها) (٢)

وكانت هناك في وقت الهجمات الاستعمارية (ثلاث إمبراطوريات إسلامية عظيمة كانت تحكم العالم القديم المعروف كله هي :

١ - الإمبراطورية العثمانية، التي كانت سيطرتها المباشرة تمتد من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي، ومن حدود النمسا إلى وسط القارة الإفريقية ويمتد نفوذها بالتبعية على العالم الإسلامي كله باعتبارها صاحبة الخلافة .

٢ - الإمبراطورية المغولية التي كانت تسيطر على شبه القارة الهندية وما جاورها .

٣ - إمبراطورية الشرق الأقصى وهي وإن لم تكن ذات إدارة مركزية إلا أنها كانت

(١) ص ١٥٢ / ١٥٣ إظهار الإسلام (روجيه دو باسكويه) الشروق سنة ١٩٩٤ م .

(٢) ص ٤٦٥ من كتاب (مجالى الإسلام) حيدر بامات ترجمة عادل وعيتر ط عيسى الحلبي بالقاهرة سنة

١٩٦٥ م .

تتألف من ممالك وإمارات إسلامية كثيرة قوية، . . أى بلاد إندونيسيا وما يليها^(١)

يقول اللواء عبد الحميد شرف :

(وقد دأبت الدول الأوروبية على عرقلة الحركات والمحاولات الإصلاحية بشتى الوسائل، والتدخل في شئون الدولة العثمانية بشتى الحجج مثل حماية الأقليات المسيحية والحصول على امتيازات خاصة مما أضر بالاقتصاد العثماني . . وقد أسرف الأوروبيون في إساءة استخدام هذه الامتيازات ودفع الدولة للإستدانة بفوائد عالية، فلذا واکب ذلك إثارة العديد من الفتن بين الشعوب العثمانية فلنا أن نتصور فاعلية معاول الهدم التي تعرّضت لها الدولة وقد ذهب الأوروبيون في ذلك شأواً بعيداً لدرجة تدبير المذابح الجماعية للأقليات سواء كانت مسيحية أو إسلامية .

كما ارداد النشاط التبشيري سواء كان كاثوليكياً مدعوماً من فرنسا وإيطاليا، أو بروتستانتياً مدعوماً من إنجلترا وأمريكا.

وبينما كان الغرب يستكمل بناءه الصناعي والتنموي كانت يده الأخرى تحمل السلاح لإجهاض أية محاولة إصلاحية في العالم الإسلامي وشغله بالدفاع عن حياته ووجوده^(٢)

ولم تكفِ الدول الإستعمارية بإجهاض حركة النهضة الذاتية، بل حرّمت على مستعمراتها استخدام قواتها للدفاع عن نفسها، وكذلك تحريمها الحصول على (العلم والإدارة) حسب توصية توينبي.

ويذكر حيدر ممت أن إنجلترا حظرت على فارس (إيران) أن تكون صاحبة سفن حربية في الخليج الفارسي واستولت على جزائر البحرين، ويغدو تطويق فارس تاماً وفي الوقت نفسه تبدي الدولتان المتنافستان نشاطاً سياسياً قائم على النفوذ الاقتصادي والتبض على ثروات البلد^(٣)

(١) ص ١٠ من كتاب (المسلمون أمام التحدي العالمي) د/إحسان حقي بيروت ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

(٢) ص ١٣٩ / ١٤٠ من كتاب (الصراع الكبير بين الشرق والغرب ومراحل تطوره عبر ١٣ قرن) لواء أ.ح.م/عبد الحميد علي شرف ، مطابع الأهرام - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

(٣) حيدر ممت - مجالي الحضارة ص ٤٦٩ .

ومما أدى بباحث إنجليزي - ا.ج . براون إلى تحميل الدولتين تبعة تدهور أحوال فارس فوصفها سنة ١٩١٢م (تقع تبعة ما يسود فارس الآن من نفس منحطة وآمال متحطمة ومن فوضى على روسية وبريطانية العظمى رأساً، وإذا ما قُضي ذات يوم بتقديم حساب عن ذلك كانتا ملزمتين به) (١)

وقس على ذلك ما فعلته دول أوروبا مع الخلافة العثمانية إذ اتحد الغرب على حربها وإثارة الفتن بين شعوبها وإعاقة أي مظهر من مظاهر الإصلاح والنهضة (وقد دأبت الدول الأوروبية على عرقلة الحركات والمحاولات الإصلاحية بشتى الوسائل، والتدخل في شئون الدولة العثمانية بشتى الحجج مثل حماية الأقليات والحصول على امتيازات خاصة ..) (٢)

ومهما اختلفت الآراء في نوايا محمد علي، غير أن ما يستدعي الإنتباه هي حركة التصنيع الكبرى التي قامت على أكتاف الشعب المصري وشملت الغزل والنسيج وصناعة سبك الحديد وألواح النحاس والصابون والزجاج ودبغ الجلود وبناء السفن النيلية والبحرية وإنشاء مدارس الهندسة، والطب والصيدلة، والولادة والألسن والمعادن والمحاسبة، والفنون والصنائع والزراعة والطب البيطري (٣)

صحيح أنه استخدم لضرب الخلافة العثمانية وإجهاض حركة محمد ابن عبد الوهاب، ولكن الذى يعنينا هو ما تم من إقامة نهضة حقيقة بواسطة الشعب المصرى عندما سنحت له الفرصة .

ويعلق اللواء عبدالحميد شرف على ذلك بقوله (ومن المعروف أن كل مصنع ذكرناه كان به عمال، ومديرون، وإنتاج، وطاقة محرقة . ولما كان التحضر يقاس بكمية طاقة الحركة التى يستخدمها الإنسان لنفسه، فكم وحدة طاقة كان يستخدمها شعب مصر الذى لم يتجاوز سبعة ملايين نسمة فى ذلك الوقت) ؟ (٤)

(١) حيدر مات ص ٤٧١ .

(٢) ص ١٣٩ من كتاب (الصراع الكبير بين الشرق والغرب ومراحل تطوره عبر ١٣ قرناً) لواء ا.ج . م عبد الحميد على شرف ط الاهرام ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

(٣) باختصار - المصدر نفسه ص ١٥٤ وجاء الاستعمار البريطانى سنة ١٨٨٢ م فأجهض ذلك كله .

(٤) نفسه ص ١٥٦ .

ثم جاء الاستعمار البريطاني سنة ١٨٨٢م لتخطيط ذلك كله وتحويل مصر إلى
 مزرعة للقطن لمدّ مصانع بريطانيا بأرخص الأثمان ثم إعادة تصديره بأغلاها !
 وهكذا تبدّى الحقائق واضحة للعيان، فلو (لم تتأمر الدول الغربية على الخلافة
 العثمانية ثم على محمد علي، لقامت الدولة الإسلامية المركزية بتمويل عملية
 تصنيع كبرى، لا تتخلى عن القيم الدينية الإنسانية) (١)
 ويضاف إلى ذلك كله حرص الغرب على حرمان الشعوب من امتلاك أدوات
 التقدم العلمى . يقول د/ عبدالغنى قاسم :
 (ولا أزال أتذكر ما كتبه «أرنولد توينبى» فى كتابه «مستقبل الإسلام» عام
 ١٩٦٢م | ينبغى على (الغرب) أن لا يتيح (للمسلمين)، و(الهنود)، و(الصينيين)
 فرص الحصول على (العلم والإدارة) المتقدمين، لأن هذه الشعوب تشكل التهديد
 المستقبلى لقومه) (٢)

* * *

(١) د/ عبد الوهاب المسيرى و د/ هدى عبد السميع حجازى ص ٢٠ من مقدمتهما كمتترجمين لكتاب
 (الغرب والعالم) تأليف كافين رايلى (عالم المعرفة) - الكويت رمضان سنة ١٤٠٥هـ - يونيو ١٩٨٥ .
 (٢) مقال بعنوان (اسقاط السقف الحضارى على كل ما ينفع ويضر جريمة حضارية) د/ عبد الغنى قاسم
 (أستاذ بجامعة صنعاء) الشرق الأوسط ١/٧/١٩٩٨م.

(٦)

إحياء الدين وتوظيفه سياسياً

برعت حضارة العصر والأبراق التابعة لها فى إخفاء الحقائق وراء السلوكيات المرئية لنا، إذ خدعتنا - ولاتزال - بالتظاهر بخلع ثياب الدين لأنه من (مخلفات العصور الوسطى) بينما المتابع اليقظ لمجريات الأمور يرى أننا نعيش قرناً ليس أقل تعصباً أو تطرفاً من القرون الوسطى فالذى غاب عن بعض زعمائنا فى التحرر الوطنى أن العالم الغربى (مؤمنه وملحد) يتعامل مع العالمين العربى والإسلامى على أساس دينى محض وكيف سيطرت المعتقدات الدينية على رؤساء وساسة أمريكا وإنجلترا (وعد بلفور) - بل منذ سنة ١٨٨٠ أصدر رجل الدين وعضو البرلمان الانجليزى (لورانس أوليفانت) كتاباً أسماه (أرض جلعاد) دعا فيها لطرده العرب مثلما حدث للهنود الحمر فى الولايات المتحدة الأمريكية، لأنهم (غير جديرين بأية معاملة إنسانية) فهل هناك غرابة بعد ذلك فى أن يطالب (بن جوربون) بمعاملة العرب على نحو ما عاملت أمريكا سكانها من الهنود الحمر الأصليين ؟ (١)

كذلك يتضح للدارسين للعلوم السياسية وتاريخ تطوراتها، والمتابعين للظاهرة الدينية فى الغرب، يتضح لهم بما لا يدع مجالاً للشك أن الظاهرة تمت وأبنت، إذ (عاد الدين الكاثوليكي ليؤسس التجانس والانصهار كما فعل من قبل فى الدولة الرومانية المقدسة) (٢)

وهل نغفل أيضاً الارتباط الدينى بين النصرانية واليهودية الملئ بالأسرار - كما تجلّيه الباحثة - ريجينا شريف - وتلمحه فى الارتباطات والعلاقات فى ميادين (الآداب والتاريخ والعقائد والسياسة حتى التراث الغربى مليئاً بالأساطير اليهودية) (٣)

(١) د/ محمد عصفور (جريدة الوفد القاهرية) بتاريخ ٢ / ٧ / ١٩٨٨ م .

(٢) الدين والدولة فى الواقع الغربى (دراسة لمسوق ودور الدين فى الدولة القومية) د/ عبد العزيز صقر ص ٣٩ - دار مكتبة العلم للجميع ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

(٣) الصهيونية غير اليهودية ص ١٨ (جذورها فى التاريخ الغربى) ريجينا الشريف - ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز سلسلة كتب ثقافية (عالم المعرفة) - الكويت ربيع الأول ١٤٠٦ هـ - ديسمبر ١٩٨٥ م .

ومن الظواهر التي يجب أن تستأثر باهتمامنا في مجال استخدام الدين سياسياً في الغرب، هي ظاهرة إلقاء أجهزة الإعلام الغربية الضوء الشديد على التدين في العالم الإسلامي وحده والتشويه المتعمد للإسلام كالترويج لكتاب سلمان رشدي الكذاب (الشر) في الوقت الذي تصمت فيه صمتاً مريباً عن تمام النفوذ السياسي للكنيسة الكاثوليكية، فضلاً عن حقيقة إنشاء إسرائيل على أساس توراتي ورفع شعار (المناداة بعودة اليهود إلى فلسطين كمقدمه حتمية لعودة المسيح المنتظر تبعاً لنبوءات العهد القديم) (١)

والدراسات العلمية الجادة التي تصدر تباعاً لتكشف عن هذا الجانب الذي يعتمد العلمانيون إخفاءه لإظهار حضارة العصر وكأنها حضارة لا دينية ! فهل هو استخفاف بالمقول؟ أم إيثار للراحة اكتفاءً بترديد أقوال أجهزة الدعاية المضللة؟
وقد عنى الدكتور عبدالعزيز صقر بدراسته العلمية الموضوعية بتتبع دور الدين في الغرب كدافع للسلوك السياسي والقيادي وكرابطة اجتماعية وكعامل للتوحيد والتجانس والاندماج السياسي، وخلص إلى النتائج الآتية :
أ - لا يزال الدين أحد متغيرات السلوك السياسي الفردي .
ب - لا تزال الكنائس تدافع عن حقها في الممارسة السياسية أو على الأقل التوجيه السياسي .

ج - ولا يزال الدين عاملاً هاماً في عملية التكتل الاجتماعي والوحدة السياسية .
لقد أمسك الباحث بتلابيب الغرب متلبساً بتوظيف الدين سياسياً ببلدانه جميعاً بلا استثناء (فرنسا - إنجلترا - اليونان - إيطاليا - ألمانيا - إسبانيا - بلجيكا - هولندا - أمريكا) (٢)

(١) الصهيونية غير اليهودية ص ٥٤/٥٥ ريجينا الشريف ترجمة أحمد عبد العزيز (جذورها في التاريخ الغربي) سلسلة (عالم المعرفة) - الكويت - ربيع الأول ١٤٠٦ هـ - ديسمبر ١٩٨٥ م .
وتبدو الادراجية الصارخة للغرب في رأى الأستاذ محمد سلامى في الحملات اليومية التى يشنها يومياً إزاء الإسلام وشعائره مع استماتته في الدفاع عن سلمان رشدي بزعم الدفاع عن حقه في التعبير، في الوقت الذى تمارس فيه جميع أنواع القيود الرقابية ضد رجاء جارودى لإعلانه رأيه في عدد ضحايا النازى من اليهود . (مقال بعنوان : خطاب السفير الأمريكى) الأهرام - ١٦ / ٣ / ١٩٩٨ م .
(٢) الدين والدولة في الواقع الغربي (دراسة لموقع الدين في الدولة القومية) ص ٢٨٥ . د/ عبدالعزيز صقر - دار ومكتبة العلم للجميع بالقاهرة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

وإذا تبسنا النبض الديني في أوروبا وأمريكا لطلال بنا المقام - ولكننا نكتفي بلقطات تغني عن الاستقصاء (فإن المفاهيم والقيم والممارسات المسيحية متغلغلة في الحضارة الأوروبية). يقول أحد السويديين (ربما كان السويديون أكثر الناس تديناً في أوروبا، ولكنك لن تفهم هذا البلد أبداً إلا إذا أدركت أن مؤسساتنا وممارستنا الاجتماعية وأسرننا وسياستنا وأساليب حياتنا كلها متأثرة بترائنا اللوثرية)^(١)

كذلك فإن أكثر الأمريكيين يؤمنون بالله (ويعتقدون أنهم شعب متدين، كما يترددون على الكنائس بأعداد كبيرة)^(٢)

ولم ينبثق الإحياء الديني فجأة في السنوات الأخيرة - كما يوهنا هانتجتون - بل له جذوره المتغلغلة في أعماق التراث الثقافي هناك - وربما منذ مارتن لوثر -، فقد تعانقت المسيحية الصهيونية مع الصهيونية اليهودية لتحقيق هدفها المشترك : (خلق دولة يهودية حيث لا يرحب بغير اليهودية مواطناً فيها)^(٣)

ويقوم بهذه الحملات بعض كبار رجال الدين في أمريكا أمثال (لندس وفالويل وسواغات وروبرتستون) ويتمركز نظام الإيمان عندهم - وعند حوالي ٤٠ مليون إنجيلي أصولي - حول أرض صهيون الإنجيلية)^(٤)

ومهما أخفت أجهزة الإعلام - والكتاب المرتزقة - الوجه الحقيقي لهذه الحضارة، فإن الدارس الذي يتتبع تاريخها وفلاسفتها وسياستها يرى طابع التدين بعين لا تخطئ، وأصبح مألوفاً العثور على التفسير الديني للصراع بين أوروبا والشرق في كتب مثقفهم وساستهم ومؤرخيهم وفي مقدمتهم أرنولد توينبي.

وها هو الكاتب - المثقف جداً كما يصفه الأستاذ جلال كشك - (ألن مورين) مؤلف كتابي (النيل الأبيض) و(النيل الأزرق) يقول :

(١-٢) ص ٤٩٣ من كتاب (صدام الحضارات : إعادة صنع النظام العالمي) صامويل هنتجتون، ترجمة

طلعت الشايب تقديم د/ صلاح قنصوه ١٩٩٨م (سطور) .

(٣) النبوة والسياسة : جريس هايل ص ١٠٧ .

(٤) الإنجيليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية) ترجمة محمد السماك دار الشروق ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

(٤) نفسه ص ١٩، بينما يرى د/ محمد عصفور إن الحركة الضمخمة للأصوليين المسيحيين تضم ما يجاور المائة والثلاثين مواطناً أمريكياً، ويشغل بعضهم أكثر وأرفع المناصب والمواقع السياسية والعسكرية والإدارية والفنية والاقتصادية) (الوفد في ٣٠/٧/١٩٨٨م .

إني نهاية ١٨٨٣ كان يمكن القول بأن الصراع بين الإسلام والمسيحية قد وصل إلى نتيجة مشرقة للطرفين، فقد استولى الإنجليز على مصر ولكنهم خسروا السودان. لقد انتهت هذه القلاقل (ثورات عرابي والمهدي) - كما رأينا - بالهزيمة الساحقة للإسلام على ضفاف النيل .. ولكن ثبت أنها هزيمة مؤقتة ليس إلا .. ومنذ سنة ١٩٠٠ وهناك تقدم منتظم للإسلام في شرق إفريقيا ووسطها، وفي الوقت الحاضر يكسب المسلمون مؤمنين جداً أكثر من المسيحيين .. لذا فما من رجل عاقل، يغامر بالقول بأن ذلك هو نهاية الأمر، التناقض بين الدينين .. الشرق ضد الغرب يبدو وكأنه جزء دائم من الواقع الإفريقي وهذا الصراع يمضي أحياناً تحت الأرض، وأحياناً فوقها .. ولكنه مستمر ومحتوم كالنيل نفسه) .

وعبارته عن فوق الأرض وتحتها توحى للقارئ بدوام الحرب النفسية بأسلحتها في الغزو الثقافي التي لم تنقطع بعد انحسار الثورات أو النزاع المسلح .

كذلك فإن هذه السطور لا تخفى فكرة حتمية الصراع، مما دفع للأستاذ جلال كشك أن يعلق بسخرية (ها هو كاتب أمريكي «مشفق جداً» يكتب عن الصراع الأبدى والمحتوم، وقراء مثقفون في أوروبا وأمريكا يقبلون على قراءة هذا التفسير حتى يروج المؤلف وتطبع كتبه في جميع اللغات البيضاء فور صدورها) (١) وهذا يدل على أن «ألن مورهي» وجد صدقاً واستحساناً لآرائه بين أبناء حضارته، وإلا لما ذاعت وانتشرت كتبه .

وعندئذ يتعذر قبول آراء بعض مثقفينا المنكرين للشمس في وضوح النهار، فها هو العدو يرفع الصليب .. ويؤرّخ حروبه كانتصارات للصليبية على الإسلام .. ثم يطلب من الضحية أن ترفض التفسير الديني) (٢)

ويأتى بعد «مورهي» «رشر» الذي يعلل هزيمة الصليبيين بتعصب المسلمين (٣) ويجب الأنفاجاً إذن بآراء هتجتون الأمريكي فيما أعلنه من صراع الحضارات، وإصباغ الصراع بصبغة دينية لأنه امتداد لعلماء ومؤرخين قبله، وقد طفح على

(١) ص ٢٦ من كتاب (الماركسية والغزو الفكري)، محمد جلال كشك الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة محرم ١٣٨٦ هـ - مايو ١٩٦٦ م .

(٢) نفسه ص ٢٧ . (٣) نفسه ص ٣٣ .

السطح في السنوات الأخيرة، وقد عدَّ صمويل هتجتون منها الكثير، نقتطف بعضها في وقائع لا تحتل الإنكار :

إن الهجرة من شمال أفريقيا إلى فرنسا تولَّد عداوة بين الفرنسيين، وتجد قبولاً متزايداً بهجرة البولنديين الكاثوليك ^(١)

والرئيس بوش أثناء حرب الخليج الأخيرة يكثر من ذكر الله والتضرع إليه باسم الولايات فقوى من شعور العرب بأنها كانت (حرب دينية) ^(٢)

و. . . العداوات الحادة والصراعات العنيفة متغلغلة بين الشعوب الإسلامية المحلية والشعوب غير الإسلامية، في البوسنة خاض المسلمون حرباً دموية ومدمرة مع الصرب الأرثوذكس واشتبكوا في عنف آخر مع الكروات الكاثوليك ^(٣)

ويعلن الزعيم الصربي إحياء الذكرى الستائة للمعركة الكبرى، كرمز للحرب المستمدة مع المسلمين ^(٤)

(وعندما أصبحت العقيدة الأرثوذكسية والكنيسة الأرثوذكسية مرة أخرى عوامل مركزية في الهوية القومية الروسية، التي ضغطت بدورها العقائد الروسية الأخرى إلى الخارج وأهمها الإسلام) ^(٥)

وعقب تفكك يوغوسلافيا سنة ١٩٩١م تحركت كل من «سولوفيا» و«كرواتيا» نحو الإستقلال واللجوء إلى القوة الغربية بحثاً عن التأييد . . وأمام ضغط الرأي العام الألماني اعترفت الحكومة بهما - وضغطت على الاتحاد الأوروبي ليعترف باستقلال الدولتين . . كما لعب الفاتيكان دوراً رئيسياً، فأعلن البابا أن (كرواتيا) هي (متراس المسيحية الغربية) ^(٦)

وما لم يذكره هتجتون - لأن كتابه صدر منذ سنوات - الزيارة الأخيرة للبابا لأرض فلسطين، وحرص الإسرائيليون على إعداد برنامج خاص لاستقلال الزيارة سياسياً (وفرضوا عليه زيارة أماكن تحمل أبعاداً سياسية مثل نصب التذكاري لما سمي بالمحرقة في مدينة القدس وزيارة حائط المبكى الذي هو في الأصل الحائط الغربي لسور المسجد الأقصى والذي يُطلق عليه «حائط البراق» لأن النبي محمد

(١-٢-٣-٤-٥-٦) (صدام الحضارات)، ص هتجتون صفحات ١١٢، ٤٠٤، ٤١٤، ٤٢٤، ٤٣٨، ٤٥٨، وهو يرى أنه في أواخر القرن العشرين شهدت انبعثاً أو صحوة دينية في أنحاء العالم. هذا الانبعث تضمن اتساع الوعي الديني وبرز الحركات الأصولية، وأدى ذلك إلى تقوية الاختلافات بين الأديان ص ١٠٦، كذلك يقرر أن الدين قوة مركزية، وربما كانت هي القوة الرئيسية التي تُعَبِّئ الناس وتدفعهم ص ١١٠ .

عليه السلام ربط البراق عنده حينما صعد إلى السموات العلا في ليلة الإسراء والمعراج^(١)

ويأتي مسك الختام فيما صرح به رئيس أمريكا أخيراً إذ عندما سُئل كلنتون عن وضع الدين في المجتمع ، أجاب : { إننا جميعاً جزء من مجتمع عالمي في تطور دائم ، وقد شهد هذا المجتمع تغيرات سياسية وتقديماً تكنولوجياً ، وتضاعداً في التنمية الاقتصادية . غير أنه بالإضافة إلى ذلك نواجه بأخطار قديمة وجديدة من أبرزها الإرهاب ، وأسلحة الدمار الشامل ، ومخاطر البيئة ، والفقر والجوع والصراعات الحادة . وفي إطار مواجهتنا لهذه التحديات والتغيرات ، هناك شيء ثابت يتخطى الحواجز الجغرافية ، وحدود الجنس واللون وهو الدين ، ولاشك أن له دوراً بارزاً في إضفاء روح المسؤولية وبث اليقين على القدرة على مواجهة المشكلات ، نحن في حاجة للدين كمصدر من مصادر القوة ، ومنبع من منابع اليقين } ^(٢) .

وكانت إجابته عن سؤال في شكل عبارة ذكرها أحد القسوس من أن (صلواتنا هي التي تساعد على تماسك العالم)

الدين والفكر الفلسفي :

وقبل الانتهاء من هذا البحث ، نرى أخيراً إزالة الوهم عن الفصل التام بين الدين والحياة الثقافية للغربيين ، فالحق أن له صلة وطيدة بالعلوم - والفلسفة أيضاً - بينما قدموا لنا فلاسفتهم في صور مزيفة لإخفاء العقيدة الدينية لتخدير شبابنا وحثهم على إهمال الدين .

يقول استاذنا الدكتور محمد على أبو ريان - رحمه الله تعالى (لقد تبين من خلال معالجتنا لموضوع أزمة المنهج في العلوم الإنسانية كيف أن تلك العلوم ، والفلسفة من بينها بصفة خاصة ، كانت تنوء بتدخل اللاهوت منذ القرن السادس عشر إلى أوائل القرن الثامن عشر ، فلقد جاءت المذاهب الفلسفية المختلفة ولاسيما

(١) من مقال بعنوان (هل كان قلب البابا مع الفلسطينيين وسيفه مع الإسرائيليين؟) بقلم د/ محمد على الفراء عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة - الأردن - جريدة الشعب القاهرية في ١٤/٤/٢٠٠٠م ص١٣ وما يذكر أن البابا اتبع تقليداً يهودياً ووضع في فتحة من فتحات الحائط رسالة تضمنت «طلباً» من الرب المغفرة لمعاناة اليهود هذا نصها «يا إله الآباء والأجداد: يا من اخترت إبراهيم وذريته لنقل اسمك إلى الأمام: إن الحزن العميق يغمرنا لتصرفات الذين تسببوا على مدار التاريخ في عذاب أبنائك ونطلب صفحك وغفرانك ونحن ننشد أن نقيم أخوة حقيقية مع أهل العهد» .

(٢) من مقال بعنوان (رؤية إمبراطورية) بقلم السيد يسين ، جريدة «الأهرام» في ٢٩/٦/٢٠٠٠ م .

عند ديكارت - ذات طابع لاهوتى ظاهر على الرغم من ثورتهم على العقبات التى وضعتها الكنيسة ورجالها فى وجوههم، إذ مهما حاول الفيلسوف الزعم باعتماده على العقل المحض إلا أن عقيدته اللاهوتية لا بد أن تظهر كموجّه لا شعورى فى كتاباته^(١)

ويجرتنا الحديث عن «ديكارت» الذى استغلّ منهجه الشكى أسوأ استغلال، وكأنه المنهج الصحيح الوحيد فى دراسة العلوم الإنسانية إلى بيان موقفه من الدين . إن ديكارت هذا - كان متديّناً، ويقرباً جاء به الدين عنده حسب ما أكده الدكتور منصور فهمى الواسع الاطلاع على التراث الغربى، فقد نقل عنه قوله (يصح أن أشك فى كل شئ لأصل إلى اليقين، ولكن شيئاً واحداً لا أشك فيه هو السلوك . . أنا أتعامل مع الناس، ولا بد لى من نظام للسلوك، وبما أنه ليس عندى وقت لإثبات نظرية أخلاقية، فلا بد أن أسلم بالقواعد التى جاء بها دين الجماعة . . لا بد لى من ضمير يشعرنى بأن السرقة حرام، والكذب حرام، ولا بد من تسليمى بما جاء به الدين فى هذه الناحية)^(٢)

مكانة الدين فى إسرائيل :

يسجل تاريخ نشأة إسرائيل وواقعها اليوم أن الدين يحتل مكان الصدارة فى فلسفتها السياسية والاجتماعية والثقافية والتربوية (يعترف الكتاب الإسرائيليون بالحالة السيئة التى تعانيها الدولة الإسرائيلية والمجتمع الإسرائيلى فى المرحلة الراهنة . فعلى مستوى الدولة . . بدأت تتحول عملياً من دولة علمانية إلى دولة نيوقراطية (دينية) . . ليس فقط من خلال النشاط المتصاعد للأصولية اليهودية . . ولكن كذلك من خلال تعديل بعض النظم الأساسية فى الدولة . . إلى نظم دينية وفى مقدمتها النظام القضائى للدولة . . بتحويل قسم من هذا النظام إلى «الخاصية» الأمر الذى أوجد نظامين قانونيين وقضائيين فى إسرائيل)^(٣) وحتى إذا أخذنا بوجهة

(١) ص ٣٨٨ / ٣٨٩ من كتاب (أسلمة المعرفة - العلوم الإنسانية ومناجها من وجهة نظر إسلامية) للدكتور محمد على أبو ريان دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ١٩٩٧ م .

(٢) مجلة (لواء الإسلام) شوال سنة ١٣٧٧ هـ - مايو سنة ١٩٥٨ م

(٣) من مقال بعنوان (ما بعد الصهيونية) للأستاذ المجدوب - الأهرام ١٩٩٨/٧/٥ ص ٦ .

النظر التي تصبغ الدولة اليهودية بالعلمانية فإن هذا الرأي غير مسلّم به - لأن الصراع بين العلمانيين والمتدينين قد حُسم لصالح المتدينين، ويشهد بذلك تشدد سياسة حكّام إسرائيل الحالية بتأييد الأحزاب الدينية المتطرفة .

وبفرض تأرجح الكفتين، فإن الطرف العلماني - وهو ينقد القيم الدينية فإنه يعتز في نفس الوقت ويحتفي (بالتاريخ القديم والتتقيب فيه بحثاً عن جذور للمشروع العلماني) .

وفي الدراسة التحليلية التي قام بها الدكتور إبراهيم البحراوي للأدب العبري استخلص من كتابات أحد كتاب اليهود هناك أنه حاول (أن يحل التناقض بين رفض القيم الدينية اليهودية وبين الحاجة إليها كحافز للنجاح في المشروع القومي، وأن يقيم جسراً بين التراث الديني وبين عقلانية القرن العشرين وذلك من خلال تصور يفيد أن الشعب اليهودي يمكنه أن يكون مخلصاً لتاريخه دون الالتزام بالجانب الديني مع التأكيد على ضرورة الحفاظ على التقاليد التاريخية لليهودية لأن قطعها يعني؛ من وجهة نظره، قطع مصدر الحياة اليهودية . فلماضي هو جذور الشعب) (١).

وإذا تأملنا هذا الجدل، لا نجد فرقاً كبيراً بين المعسكرين، إلا في التحلل من الجانب الديني السلوكي .

أما التراث الديني التاريخي فهو موضع اتفاق في ضرورته وتقديسه لأنه حسب وصفه (مصدر الحياة اليهودية) .

وحسماً لهذا الجدل النظري المتبادل بين الآراء على صفحات الكتب، فإن الواقع الذي تعيشه إسرائيل هو في الحقيقة ممارسات فعلية لعقائدها الدينية ويدحض أي شك في كونها دولة دينية .

ويصور الأستاذ صلاح الدين حافظ هذا الواقع بقوله «فإسرائيل تكاد تكون «الدولة الدينية» الوحيدة في عالم اليوم بكل ما تعنيه الدول الدينية من بناء ونظم وقوانين وسياسات وممارسات . . فقد قامت ومنذ البدء وحتى الآن على أساس ديني «دولة يهودية» وفق تعاليم دينية وتوسعت وتمددت وفق تصورات دينية وعاشت وتعيش حياة يومية وفق أوامر ونواه دينية، بصرف النظر عن كل ما يقال عن

(١) ص ٢٣٩/٢٤٠ الدين والدنيا في إسرائيل، د/ إبراهيم البحراوي - كتاب الهلال - مايو سنة ١٩٩٨م.

الديموقراطية والعلمانية والدولة المدنية .

● وإسرائيل في سبيل تدعيم دولتها الدينية انتهكت وتنتهك كل حقوق الإنسان غير اليهودي الذي احتلت أرضه وطردته منها وهدمت مدنه وقراه وشردت أجياله جيلاً بعد جيل وهي أيضاً التي تمارس الاضطهاد الديني علناً وتحت سمع وبصر العالم وبرعاية أمريكا حامية وضامنة، ضد غير اليهود، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين بعد أن اغتصبت منهم كل شئ حتى الأماكن المقدسة { (١) }.

التخدير بالحوار الديني :

رأينا كيف أصبح الدين محركاً للسلوك السياسي من وراء الستار، كما اتضحت الروح العدائية في العصر الحديث سافرة عن وجهها بالرغم من محاولات الإخفاء لكي لا توقظ الحمية الدينية لدى المسلمين .

ثم اتخذ الغرب وسيلة جديدة، إمعاناً في تخدير المسلمين في شكل ما سماه (بالحوار الديني) بينما هو في الواقع يخطط لإبادة الإسلام أو - على الأقل - تشويه صورته: بعد تساقط الأنظمة الشيوعية كسقوط أوراق الشجر في فصل الخريف، أخذت العقائد الدفينة في القلوب، تظهر على الألسنة وفي الدوائر السياسية والكتابات الصحفية الغربية، فقد كتب جاك جوليار بمجلة (لنوفيل أوبزرفاتور Lenowvriel Observateur) مقالاً يتساءل فيه: هل نحن مهددون بحروب دينية جديدة؟ ثم يستشهد حينذاك بثلاثة أحداث وهو اختطاف الطائرة الفرنسية في الجزائر، واستمرار الحرب في جمهورية البوسنة والهرسك، وعمليات القتال التي تشنها قوات الروس ضد الشيشان (وفي الحالة الأولى كان المعتدي مسلماً أو على الأصح إسلامياً، وفي الحالتين الثانية والثالثة كان المعتدي مسيحياً أو على الأصح من أصل مسيحي أو شيوعي الانتماء) . . وترى المجلة أن المسيحيين الأرثوذكس في البوسنة هم الذين يظهرون كل يوم دليلاً على تعصبهم . . بينما يكافح غالبية المسلمين في سرايفو من أجل حرية العقيدة والتعددية .

(واختتم جوليار مقاله بقوله: لقد كنت منذ أربع سنوات في ليبزج على مأدبة

(١) مقال بعنوان (صواريخ الزيارة والتحريض على الاصدقاء) بجريدة الاهرام في ١٧/٢/١٩٩٩ بقلم صلاح الدين حافظ .

عشاء مع سياسي من ألمانيا الاتحادية كان مكلفاً بتشكيل الحزب الديمقراطي المسيحي في إقليم ساكس ومع صحفي روسي شيوعي .. وشرحت لهما أثناء العشاء أن الإسلام أصبح الدين الثاني في فرنسا .. ويضيف كاتب المقال : عندما نظر إليَّ الإثنان بدهشة وتعاطف .. وقال الصحفي الروسي، على أي حال سواء كنا ديمقراطيين أو شيوعيين أو اشتراكيين، فإن المهم هو أننا جميعاً مسيحيون وعقَّب جوليار على ذلك بقوله : عندئذ أدركت مغزى سقوط سور برلين وأدركت مدى التغيير الذي حدث في العالم^(١)

ويقول الدكتور هوفمان :

(لقد أمضيت ٤ سنوات من عمري مديراً إعلامياً لحلف الأطلنطي، ورأيت كيف يخططون لإبادة الإسلام وتشويه صورته)^(٢)

ويتبين من هذه الشهادة أن دعاوي الحوار ما هي إلا نوعاً من تخدير الضحية ليسهل الإجهاز عليها، وهو ما فطن إليه شيخ الأزهر السابق - الشيخ جاد الحق رحمه الله تعالى - فكان رده في إحدى لقاءات الحوار بين أهل الديانات للمندوب البوذي، أن هذه اللقاءات لن تحل مشكلة السلام في المنطقة (لأن هناك طرفاً إسرائيلياً معتدياً وطرفاً عربياً مجنئاً عليه، وعلى من يدعو إلى السلام حقاً أن يتوجه أولاً إلى الطرف المعتدي لكي يوقف عداواته، حيث لا يعقل ولا يفيد أن تطالب الضحية بأن تقيم سلاماً مع الجاني !)^(٣)

ويعلق الأستاذ فهمي هويدي على ذلك بقوله (استطيع أن أروي عشرات القصص من ذلك القبيل، وكلها تشير إلى أن دعوات الحوار التي كان يدعى إليها المسلمون على الأقل، لم تعبر عن رغبات مخلصه وجادة في الفهم أو التفاهم، وأنها في أغلب أحوالها كانت تستر بين طياتها إما أصابع إسرائيلية خفية، وإما مساعي تفتح العالم العربي والإسلامي لعمليات التبشير)^(٤)

ويوصف الحوار أيضاً، بأنه (الطعم) الذي يستدرج المسلمين للخروج عن دينهم،

(١) نقلاً عن مجلة (العالم الإسلامي) ١٣ جمادى الآخر ١٤١٦هـ - ٦ نوفمبر ١٩٩٥م تصدر عن إدارة الصحافة برابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة .

(٢) ص ١٤٥ من كتاب (أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ) للدكتور جمال عبدالهادي سنة ١٩٩٧م .

(٣) ص ١٩٠ من كتاب (المقالات المحظورة)، فهمي هويدي دار الشروق ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

(٤) نفسه ص ١٩١ .

(والقيام بتحريف أكيد للقرآن الكريم الذي أدان التثليث والتجسّد بصريح العبارة في العديد من الآيات)^(١)

وتذكر الدكتور رينب عبدالعزيز في كتابها الخطير (تنصير العالم - مناقشة لخطاب البابا يوحنا بولس الثاني) أن حكمة الحوار (من المفردات التي دخلت اللغة الفرنسية في القرن السادس عشر، وبالتحديد في عام ١٥٨٠م، وتعني تبادل وجهات النظر بين طرفين. . أي أنه تبادل قائم على الأخذ والعطاء وعلى التغير والمجازفة - إذ أن كلا من الطرفين يكون عرضة لتغير موقفه، إلا أن التعصب الكنسي لا يأخذ بهذا المفهوم، ويستعين بالحوار كدرعة لكسب الوقت بغية التسلل بلا مقاومة تذكر)^(٢) وهكذا تستمر الحروب الصليبية في أشكال جديدة :

دوام الحروب الصليبية :

اختلف الباحثون حول دوافع الحروب الصليبية، وهل كانت بواعثها اقتصادية وسياسية اختفت وراء الدين لكسب الرأي العام الأوروبي حين ذاك، أم هي في جوهرها حرب دينية سافرة .

والراجع الرأي الثاني إذ لولا معرفة قادة الغرب بمكانة الدين في نفوس الأوروبيين ما أعلنوا حرباً مقدسة (فالحروب الصليبية كما يؤكد المدافعون عنها هي حروب مقدسة موجهة من الله لحماية الدين المسيحي ودرء خطر تهديد الزحف الإسلامي منه حيث وصل التوسع الإسلامي إلى جنوب فرنسا، وطوقت الدول الأوروبية المسيحية وأصبح البحر الأبيض بحيرة إسلامية. .)^(٣)

واستمرت الحروب الصليبية - بعد انقطاعها عسكرياً - في أشكال جديدة يختلط فيها الغزو الفكري والنفسى والخلقى تتجمع في إطار التبشير والاستشراق^(٤) وفوجئ الغرب باستمرار تقدم الإسلام بالرغم من كل أنواع الغزو العسكري والثقافي .

(١) ص ٩٩ من كتاب (تنصير العالم - مناقشة خطاب البابا يوحنا بولس الثاني) للدكتور رينب عبدالعزيز ، ط دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

(٢) نفسه ص ١٠٨ .

(٣) ص ٦٨ من كتاب (الإستعمار كظاهرة عالمية) د/ حورية مجاهد عالم الكتب بالقاهرة سنة ١٩٨٥م

(٤) نفسه ص ٦٩

ففي نص لإحدى الوثائق التي تكشف هدف الحملة على الإسلام وهي ما نشرته جريدة (التيمس/ الإنجليزية) فقالت: (كان الاعتقاد قديماً أن الإسلام هو دين شعوب الصحراء وقد يتقدم إلى الحضر، وما كان أحد يصدق أنه يستطيع أن يخترق المناطق الاستوائية وأن يصل إلى جنوب أفريقيا .

وقالت : ويختلف الغربيون في اتجاههم الفكري نحو مستقبل الإسلام في أفريقيا فمن قائل إن تقدم الإسلام لن يضر بالمصالح الاستعمارية مادام يسير (أي الإسلام) في الخطوط التي رسمها له الاستعمار، بينما يرى آخرون ضرورة (الحد من تقدم الإسلام) عن طريق نشر البدع والخرافات (أي نشر البدع المخالفة لأصل الإسلام لإفساده وإزالة حفيقة الإسلام عنه مع بقاء اسم الإسلام عنواناً له) حتى يكون ذلك بمثابة حائل يقف أمام ضغط الإسلام المتزايد^(١)

ومبعث دهشتهم أن الإسلام لم يتوقف بالرغم من الحرب الضروس، وعقلوا أنه دين الفطرة، إذ يجد الاستجابة في القلوب الباحثة عن الحق والمتعطشة إلى راحة القلب وطمأنينة النفس، بالرغم من تقصير المسلمين المعيب في الدعوة إليه وفق الطرق التي تتبعها أجهزة التبشير !

لذلك فقد حرصوا على منع تقدمه، أو على الأقل الحد من تقدمه وفق الخطوط التي رسمها الاستعمار، أي نشر البدع لإفساد، ليتحول إلى مجرد عنوان ! ويتضح لمن يتابع تنفيذ هذه الخطط أنهم نجحوا إلى حد كبير ثقافياً واجتماعياً وسياسياً: ففي المجال الثقافي والتعليمي، دأب المستشرقون على تعظيم الفرق المنشقة عن الجماعة أمثال الخوارج والشيعة، وإثارة الأفكار المخالفة لعقائد السلف كالمعتزلة والجبرية والقدرية وغيرها من المذاهب الكلامية. أضف إلى ذلك فرض دراسة الفلسفات الغربية بالجامعات قديمها وحديثها بكل مذاهبها وروادها، فتخرجت أجيال لا تعرف عن دينها إلا القشور بالمقارنة بما تعرفه عن دقائق مذاهب الغرب الفلسفية، وفي المجال الاجتماعي توسع دائرة التصوف وتشجيع الفرق الصوفية وتحيز نشر

(١) الأستاذ أنور الجندي : مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام) ص ٢١ ، مجمع البحوث

الإسلامية الأزهر ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢ م .

البدع، أو تكوين ما يسمى بفرق الإنشاد الديني بصورة مشابهة للنصرانية كالموالد وبناء مساجد جديدة على الأضرحة، وسياسياً، دأب الاستعمار على تشجيع الفرق المنشقة عن أهل السنة والجماعة مع زرع فرق جديدة كالبهائية والقاديانية، والترويج لأرائها تحت شعار الإسلام^(١)

وخلافاً لما توقَّعوه، بقيت الجذوة مشتعلة تحت الرماد، وعندما استيقظ العالم الإسلامي بعد الضربات الموجعة على أيدي جلاديه، ومع فشل الأيديولوجيات المستوردة^(٢) في تحقيق النهضة المرجوة، على أيدي أتاتورك في تركيا وباقي البلاد التي سارت على خطاه وقف لها الغرب مرة أخرى بالمرصاد، يرقبها، ويتجسس عليها، ويشير الأكاذيب حولها، كل ذلك بدافع العداء الكامن في الصدور: من ذلك ماكتبه الدكتور ماکولي - وهو أستاذ بجامعة لندن - عن الصحوة الإسلامية ليشير الذعر ويذكر قومه بوقائع التاريخ، فقال (إن أوروبا عانت من الإسلام مرتين :

المرة الأولى خلال القرن السابع عندما وصل المسلمون في رحفهم إلى الأندلس، والمرة الثانية في القرن السابع عشر عندما غزى المسلمون أوروبا للمرة الثانية واكتسحت قواتهم البلقان وبنغاريا وتوقفت على أبواب فيينا (يقصد العثمانيين) .

ويعتقد ماکولي أن الزحف الإسلامي الثالث قد بدأ محذراً الدول الغربية والاتحاد السوفيتي منها (لأن هذه الصحوة لو استمرت فلإنها ستكون خطراً كبيراً لا على الاتحاد السوفيتي فحسب، بل على أوروبا، وسوف يمتد تأثيرها إلى أمريكا وإلى جميع بقاع العالم)^(٣)

ويرى الفريق سعد الدين الشاذلي - بحكم خبرته العسكرية وثقافته الواسعة

(١) يُنظر مسابنا (السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية) ص ١٩٩ / ٢٠٠ - ط دار الدعوة إسكندرية ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

(٢) يرجع فشل التطبيق إلى أنها نبتت في جو حضاري غربي، فلما وضعت بذورها في غير أرضها لم تنمر الشجرة المرجوة، ولن تتحقق نهضة مشمرة في العالم الإسلامي إلا إذا اتبعنا من تراثه الإسلامي، وكانت تواصلنا للإنتاج الحضاري الذي أبدعه علماء الأمة طوال القرون .

(٣) ص ٣٠٥ / ٣٠٦ من كتاب (الحرب الصليبية الثامنة) ج١ للفريق سعد الدين الشاذلي ، ط ١٩٩١م .

وأطلعاه على مجريات الأمور عن كثب - أن حرب العراق الأخيرة التي بدأت
بهبوط القوات الأمريكية في الأراضي المقدسة يوم ٨ أغسطس ١٩٩٠م - هي بداية
الحملة الصليبية الثامنة (١)

وأهدافها الاستراتيجية تنحصر إجمالاً في :

١ - تجزئة الوطن العربي .

٢ - ضرب الصحوة الإسلامية (٢)

(١) نفسه ص ٢٨٩ .

(٢) نفسه ص ٣٠٢ ، ص ٣٠٥ .

[مسخ الشخصية الأصلية هو الهدف البعيد للتعليم التبشيري]

كان سلاح التبشير مغلفاً بالتعليم هو أحد الأسلحة القديمة التي استخدمتها الاستعمار الأمريكي بدهاء كلابس القفاز الذي يبغي به قتل خصمه فلا تظهر بصمات يديه على عنق الضحية . وكان يتظاهر بأنه أتى إلى الشرق لأغراض إنسانية كالتيكليم والعلاج بينما كان يضع في النفوس والقلوب السم الزعاف مستهدفاً مسخ الشخصية الأصلية، ومتبنياً فكرة (القومية العربية) والترويج لها بطعن الخلافة العثمانية، وتشنة الكوادر التي ستتولى القيادة السياسية وفق القيم الغربية، والزعمر بتخليص أرض الإنجيل مما سمّوه (بالتخلف الإسلامي) !

ولكنهم عجزوا عن تحقيق أهدافهم مع اليهود - كما سيأتي - لأن اليهود كان لهم موقف آخر معاند لحملاط التبشير والتنصير لاستمساكهم بالعهد القديم، ولم يرحّبوا بمقولة تخليصهم من (التخلف) اليهودي !، وحافظوا على هويتهم .

وكان من المعروف عن الاستعمار الأوروبي لاسيما الإنجليزي والفرنسي استخدامه السياسي للتبشير في مجالات التعليم والطب والتظاهر بالخير، ولدينا من المعلومات الكثير عنها، ولكن الاستعمار الأمريكي كان له دوره أيضاً في هذا المجال ويدفعنا إلى المزيد من معرفته والتوعية بأخطاره .

ولا نريد قلب صفحاط التاريخ التي تحزن النفس وتوجع القلب، ولكن نريد فقط معرفة أحد أسباب ما نعانیه من تغلغل ثقافة الغرب في أحشائنا، وفتتها لعدّه أجيال مضت، وقد قدّم لنا مؤلف (الحملة الأمريكية - مستعربون وسفراء رحالة) معلومات غزيرة عن تاريخ التبشير المغلف بالتعليم في الشرق، وكيف بدأ دينياً ثم استخدم لأغراض سياسية وهدفه (تمرير خلاصة القيم الغربية إلى العالم العربي)^(١)، وذلك بسبب صعوبة تحويل المسلمين عن دينهم، أو إقناع نصارى الشرق بمذهب المبشرين الوافدين .

(١) ص ٨٠ من كتاب (الحملة الأمريكية - مستعربون وسفراء ورحالة) تأليف روبرت كابلان - ترجمة محمد الخولي . كتاب (الهلال) بمصر محرم ١٤١٧هـ - يونيو ١٩٩٦م .

وقصة التعليم بالمدارس التبشيرية والجامعات الأمريكية قصة طويلة الفصول،
سنقتصر على فصلين منها:

أحدهما: لبيان مدى غفلتنا عن حقيقته ومراميه .

والثاني: عن آثاره في مسخ شخصيتنا وتحطيم هويتنا الأصلية، وقد وضع
البذور الأولى لتحقيق العولة .

الأول:

ترعرع جيلنا في أعقاب انحسار موجة الاستعمار القديم، وكانت مصر قد
أعلنت عن بكرة أبيها - عقب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٦ - رغبتها في التحرر
من الاستعمار البريطاني - وكان شغل قادتنا ومثقفينا وجماهير شعبنا كيفية التحرر
منه بالجهاد وبذل المهج والأرواح وبالكتابة والتوعية تاريخاً وواقعاً، وكان الشغل
الشاغل لأديبائنا وشعرائنا وعلمائنا . . وكذلك فعلت باقي شعوب المنطقة العربية
والبلاد الإسلامية مع الاستعمار الغربي، كسوريا والجزائر والمغرب وتونس، ولم
نكن نعلم أن هناك استعماراً آخر ينسج خيوطه من وراء . . وراء، بهدوء وصمت،
متخفياً وراء تصريحات وشعارات رنانة عن استقلال الشعوب وحريتها وكان الرئيس
الأمريكي ولسون قد نؤمناً مغناطيسياً بشعارات عن (إحساس أمريكا بالإنسانية
والعدل)^(١) وبرر الاشتراك في الحرب العالمية الأولى ضد الألمان (بصيانة مبادئ
السلام والعدل في حياة العالم)^(٢)

وقال: (ومن أجل حقوق وحريات الأمم الصغيرة . . ، فقدحان أن تكون أمريكا
مميزة ببذل دمها وعظمتها من أجل المبادئ التي منحتها الميلاد والسعادة، والسلام النفيس
الذي تصونه وليساعدها الرب، فهي لا تستطيع أن تفعل غير ذلك الواجب)^(٣)

وكنا كمن يشاهد تمثيلية متقنة كتبها مؤلف قدير ومثلها ساسة وكتاب وصحفيون
أخذوا يهللون لمنقذ الشعوب من الاستعمار، فتعلقت الشعوب بأذيال أمريكا ظناً

(١) والتر أ. مكديوجال: أرض الميعاد والدولة الصليبية أمريكا في مواجهة العالم منذ سنة ١٧٧٦ ص ١٩٣

ترجمة رضا هلال ط دار الشروق ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

(٢ - ٣) نفس المصدر ص ١٩٦ - ١٩٧ .

أنها تمثل العالم الجديد التي سيفتح الأبواب لحياة حرة كريمة .
وربما لم ينتبه العالم الإسلامي إلى الحقائق المرة إلا بعد نكبة فلسطين، ثم كارثة
حرب الخليج عام ١٩٩١م، وإفصاح قادة أمريكا عن (النظام العالمي الجديد) وبعده
(العولة)، عندئذ تنبّهنا من غفلتنا، وأخذنا نستطلع الخبر .
هل انبثق (النظام العالمي الجديد) فجأة عقب انتهاء الحرب الباردة وانهايار الاتحاد
السوفييتي، أم أنه الطور الأخير من أطوار تاريخية سبقته بمراحل بحيث مرّ المشروع
الأمريكي بالتجارب تلو التجارب، وخضع لتعديلات وتغييرات فرضه واقع العالم
السياسي والاقتصادي والثقافي والعسكري ؟

الثاني : ثمرة التعليم التبشيري : مسخ الشخصية الأصلية :

لقد ظل التعليم وسيلة فعّالة للتبشير لضياغة الأفراد وفق التصور الديني المسيحي
ومسخ الشخصية الأصلية بتلقينها ثقافة هجين لا تمت لتراثها بصلة فتجعلها قابلة
للاتقياد بلا تردد، لأنها انسلخت من مقوماتها وفي مقدماتها: العقيدة الصحيحة
واللغة العربية .

ودليل نجاح التبشير في حقل التعليم أن (نسبة متزايدة من الطلاب المسلمين عن
أصبحوا في الشرق الأوسط في مواقع القيادة في مجتمعاتهم)^(١)
ونضيف دليلاً آخر، وهو نشاطهم الملاحظ الآن في الترويج (للعولة) وتحقيق
أهدافها !

واستخدم الأمريكان التعليم، لأن التعليم الغربي أكثر الأسلحة مضاعفاً وفعالية،
وكان روبرت كابلان صريحاً في الاعتراف بأن المبشرين يرون في حركتهم حملة
صليبية جديدة (حملة من شأنها في نهاية المطاف أن تخلص أرض الإنجيل من
التخلف الإسلامي)^(٢)

ونشط المبشرون الأمريكيون مدفوعين بتفاوت عظيم لتحويل المنطقة إلى الإنجيلية،
بمعنى تحويلهم إلى القيم البروتستانتية الأمريكية، وبدأت في تطوير المؤسسات الحيوية
في سوريا الكبرى فكانت أول مطبعة جاؤا بها إلى بيروت من مالطة عام ١٨٣٤م .

(٢) نفسه ص ٤٤ .

(١) الحملة الأمريكية ص ٨٧ .

كان الغرض إذن (تحضيرنا) بترك ديننا !

وفتحت الجامعة الأمريكية بالقاهرة أبوابها عام ١٩٢٠م ورأسها (تشارلس واطسن الذي ترجع جذوره في التبشير البروتستانتي بمصر إلى عام ١٨٦١م . . وأصبحت بسرعة محور النشاط التبشيري الأمريكي في مصر تماماً كما كانت كذلك الجامعة الأمريكية في سوريا الكبرى)^(١)

وبينما نجح التعليم كأداة تبشير وسط المسلمين، فشل فشلاً ذريعاً أمام اليهود، فقد رفضوا الدخول في محادثات مع العرب، لأنهم لم يقتنعوا بنص من الإنجيل قدمه إليهم المبشرون، أي (لا بالقوة ولا بالسطوة ولكن بروح من عندي هكذا يقول رب الجنود)^(٢)

واستخدم اليهود القوة، لأنهم كانوا يقرءون (العهد القديم بعيون مختلفة عن عيون مبشّر بروتستانتي) - أي يحرصون حرصاً تاماً على المحافظة على عقائدهم . وترك المبشرون اليهود وشأنهم، ولم يعاودوا الكرة معهم لإنقاذهم من (التخلف اليهودي) !

وتأكيداً لهذا الموقف الصامد يروي الأستاذ محمد علي علوي «رحمه الله تعالى» واقعة لها مغزاهها ودالة على مدى استمساك اليهود بمقومات شخصيتهم حتى حققوا هدفهم في إنشاء دولة دينية، فقد سمع بنفسه من إذاعة إسرائيل في آخر نوفمبر سنة ١٩٥٣م أن المدارس العبرية التي افتتحها اليهود في الولايات المتحدة بلغت إلى ذلك التاريخ ١٦٨ مدرسة، ومازالت الصهيونية ذائبة على نشر اللغة العبرية في قلب أمريكا . . ولا يسمح اليهود بإنشاء أية مدرسة أجنبية ولو كانت علمانية، غير تبشيرية ! ثم يختم الرواية بالتعليق المناسب قائلاً :

(هذا ما تصنعه إسرائيل بجوارنا، وهو يدل على أنها تعمل بروح وطنية وعنصرية ودينية، ونحن نفتح بلادنا لسموم التبشير تضعفنا في ديننا ودياننا وتقاليدنا . .)^(٣)

(١) نفسه ص ١٧١ .

(٢) نفسه ص ١٧٥ .

(٣) ص ١٨٠ من كتابه (فلسطين والضمير الإنساني) كتاب الهلال مارس ١٩٦٤م .

ولكن مع الأسف لم ننصت لصوت العقل - فكان لزاماً علينا تجرّع الحصاد المرّ !
وظلّ التعليم هو النشاط الأساسي للتبشير في مصر، حيث تولى المبشرون تعليم
١٤٠٠ تلميذ في مائتي مدرسة وافتتحوا كلية البنات بالقاهرة عام ١٩١٠م^(١)
فهل تعي الأسر المسلمة ما يدور حولها وتكف عن إرسال فلذات أكبادها إلى
دهاقنة التبشير ؟

وتكاتف المبشرون في أداء رسالتهم مع اختلاف جنسياتهم فقد كان المبشر
صموئيل رومر - مدعماً من الكنيسة الإصلاحية الهولندية - ولم يكن كغيره من
زملائه الأمريكيين - خريج إحدى جامعات القمة في أمريكا، بل مجرد ابن مهاجر
هولندي متجول لحساب الكنيسة الهولندية .

واستمرت جولاته على مدى خمسين عاماً - هو وزميله كانتن منذ سنة ١٨٨٩ م
وحتى نشوب الحرب العالمية الثانية، متخذين بنص من الاصحاح الاول من كتاب
(اشعيا) دليلاً لهما، ومضمون هذا النص (كل بقعة تطوُّها قدماءك سوف نعطيها
لك)^(٢)

ويتضح البعد الديني والمحرك العقيدى في شخص بعض رؤساء أمريكا منذ وقت
مبكر، ومنهم الرئيس الأمريكى ويلسون سنة ١٩١٣م وهو ابن قسيس مسيحى،
وتبعه في العصر الحديث أمثال كارتر وريجان وبوش الذين أعلنوا بلا مواربة أنهم
يتدينون بتأييدهم لإسرائيل .^(٣)

(٢) نفسه ص ٩١/٩٠ .

(١) نفسه ص ٨٨ .

(٣) نفسه ص ٩٢ .

(٧)

التفرقة العنصرية

إن الناظر لحضارة العصر، والباحث فى روافدها الثقافية وتاريخها وواقعها المعاصر، يصطدم بظاهرة التفرقة العنصرية لأنها من ملامحها البارزة - كالمرأة الدميعة تعجز عن ستر قبح وجهها حتى لو غطته بالمساحيق وأدوات التجميل المصطنعة، فإذا نثرت على وجهها قطرات من الماء لأزال عنه الصباغة وظهر سافراً يثير فى النفس النفور والاشمئزاز !

وللقارئ نبذة عن تاريخ العنصرية الغربية وملامحها المعاصرة :

يؤرخ الدكتور إبراهيم مدكور لهذه الظاهرة فيذكر أنها ترجع إلى اليونان إذ اعتمدتها فلاسفتهم - وعلى رأسهم أرسطو - بالمقولة المشهورة «كل ما وراء أثينا بربر»^(١)

وجاء بوصية أرسطو لتلميذه الاسكندر «إذا وجدت يونانيين خلفى فلا تستعمرهم إذ هم أحرار، أما العبيد والعتقاء والمهجنين، فلإنك يجب أن تعاملهم بقسوة، وأن تستعمر بلادهم»^(٢)

وخلف من بعد اليونان الرومان الذين كانت تأخذهم العزة بعنصريتهم، فأقاموا عليها تفرقة (فى تشريعهم وقوانينهم بين الرومان وغير الرومان) . . ثم قاسى زنوج أمريكا فى العصر الحديث من النظرة العنصرية التى كانت تعدها الكنيسة أمراً واقعاً لا مفر منه (ولم يخفف من وقعها أخيراً إلا «قانون الحقوق المدنية» الذى ساوى بين البيض والسود، ولا يزال لهذا الأمر رواسب وذبول فى دولة عظمى لها نظمها وشرائعها)^(٣)

وفى دراسة مقارنة خاطفة للقيم الأخلاقية الإسلامية، والنظرة الدونية العنصرية، يقرر الدكتور حسين مؤنس أنه لم فى تاريخ إفريقية التى توصف خطأ بالسوداء وكان (من رأى الدكتور مؤنس أنها القارة المسلمة - قامت قبل الإستعمار الأوروبى دول

(١) فى الفكر الإسلامى د/ إبراهيم مدكور ص ١٧٤ / ١٧٥ .

(٢) ص ٣٧١ / ٣٧٢ من كتاب (الأخلاق والسياسة فى الفكر الإسلامى والليبرالى والماركسى) للدكتور مدوح العربى، ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٢ م .

(٣) فى الفكر الإسلامى د / مدكور ص ١٧٥ .

إسلامية كبرى ذات حضارات ونظم لا تقل عن معاصراتها في شتى نواحي العالم الإسلامي وأهمها دول غانه ومالي وصنغى . بل شهد رحالة المسلمين الذين زاروا هذه الدول وكتبوا عنها، مثل ابن فاطمة وأحمد باب التمبكتي وابن بطوطه، بأن أهل هذه البلاد يمتارون بخلق متين وأمانة وصدق وصفاء نيةً وبُعد عن الخداع) .

ويلفت نظرنا الدكتور حسين مؤنس لهذه الأخلاق، ويرى أنه (ربما كانت هذه هي نقط الضعف التي مكَّنت للأوروبيين من غزو بلاد القارة الإفريقية واستعمارها وإذلال أهلها واسترقاقهم والتجارة فيهم هذا العمر الطويل)^(١) .

ومع الآراء السيئة التي نشرها الأوروبيون عن الجنس الأسود أباحوا لأنفسهم إبادة السود في بعض الأقاليم (مثل جنوب إفريقية وزمبابوي التي سُمِّيت باسم استعماري من عتاة القائلين باستذلال الشعوب الضعيفة وهو سيسيل رودس)^(٢) .

وبقيت الرواسب العنصرية في أعماق النفس الغربية ثقافياً وسياسياً، فقد جاء في تعريف كلمة «أسود» بقاموس أكسفورد للغة الإنجليزية «مُطَّخٌ للغاية بالقذارة، ملوث، قذر . . أهدافه سوداء أو مميته، شريرة، ينتمي إلى الموت، وينطوي عليه، مميت، مهلك، مسبب للمكوارث والنحس . . . فاسد فاسق أثيم مرعب شرير . . يدل على الخزي والاستهجان والجرم»^(٣)

وفي العلاقات السياسية غللت النظرة العنصرية تحكم سلوك قادة الغرب، أمثال كيرزون وبلفور وتشرشل . . ولا يختلفون عن لورد كرومر، فيرون الشعوب مقسمة بصورة طبيعية إلى «أجناس حاكمة» و«أجناس محكومة» ويؤمنون بأن البريطانيين من بين النوع الأول وأن العرب من بين النوع الثاني^(٤)

(١) ص ١٩ من كتاب (الحضارة) د/ حسين مؤنس ، سلسلة (عالم المعرفة) - الكويت محرم / صفر

١٣٩٨ هـ - يناير ١٩٧٨ م .

(٢) نفسه .

(٣) ص ١٠٨ من كتاب (الغرب والعالم) تأليف كافين رايل ج ٢ ترجمة د/ عبد الوهاب السيري ود/ هدى

عبد السميع حجازي مراجعة د/ فؤاد ذكريا ، عالم المعرفة جالكويت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

(٤) ص ١٤٨ من كتاب (العرب) مؤلفه بيتر مانسفيلد ترجمة انسجام غوده - منى فرغلي - د/ السيد عمر

الهيئة المصرية للإعلام ١٩٩٥ م .

ونفس التعصب العنصري اعتنقه الرئيس الأمريكي ويلسون (لذلك هتف لضم
الفلبين وبورتوريكو : إنهم أطفال ونحن رجال في تلك الشئون العميقة للحكم
والعدل)^(١)

وكان يغلف ذلك بشعارات قائلاً في إحدى خطبه (وليمنحنا الرب فخر ذلك
اليوم الذي يتحقق فيه التعامل الصريح والسلام المستقر والتوافق والتعاون بحيث
يكون في متناول اليد)^(٢)

ووصف الحرب العالمية الأولى التي قادها بأنها (حملة صليبية لجعل العالم سالماً
من أجل الديمقراطية)^(٣)

ويبدو أن هذا التمييز العنصري جعل العقل الغربي المعاصر أيضاً (لا يتصور أن
هناك طريقاً غير طريقه، ولا أنساب سوى أساليبه، ولم تستطع الحضارة الغربية
الانفتاح على غيرها من الحضارات، طوال تاريخها، وأظهرت دائماً استعدادها
للاستغناء عن ما عند الآخر، وكان الغير عند الرومان هو البرابرة، وعند الفرنجة هم
الشياطين، ولم يستطع العقل الأوروبي في القرنين التاسع عشر والعشرين أن يسبغ
على سكان المستعمرات سوى وصف «الأمهالي»)^(٤)

وانعكست النظرة العنصرية بطبيعة الحال على إسرائيل - نموذج الديمقراطية الغربية
في الشرق - (إنه طاملاً بقيت إسرائيل دولة صهيونية - يعطى فيها قانون العودة،
على سبيل المثال، حق المواطنة للمهاجرين اليهود فقط - فإن العرب سيظلون
مواطنين من الدرجة الثانية...)^(٥)

وزاد الطين بلة ظهور الاتجاه العدائي المتطرف نحو العرب - أصحاب البلاد
الأصليين - من أمثال (كاهانا) «الذي تنضح كلماته بالحق الدفين، ويفضح بها

(١) والتر مكديوجال : أرض اليعاد والدواة الصليبية - أمريكا في مواجهة العالم منذ سنة ١٧٧٦ ترجمة
رضا هلال ، ط دار الشروق ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م .

(٢ - ٣) نفسه ص ١٨٠ .

(٤) مقال بعنوان (لي كوان يو والنموذج الآسيوي) بقلم مصطفى نبيل مجلة الهلال - فبراير ١٩٩٦م
ص ٥٦ .

(٥) العرب ، مانسفيلد ص ٤١٥ .

خفايا نفوس بني قومه جميعاً - قال: (العرب سرطان، سرطان، سرطان وسطنا . ولكن لا يوجد رجل واحد مستعد لأن يقف ويقولها . . إنني أقول لكم ما يفكر فيه كل منكم في أعماق قلبه : ليس هناك سوى حل واحد، ولا حل آخر، لا حل جزئي: أيها العرب اخرجوا ! اخرجوا ولا تسألوني كيف . . . دعوني أكون وزيراً للدفاع شهرين ولن تجدوا صرصاراً واحداً هنا، إنني أعدكم بأرض إسرائيل نظيفة، اعطوني السلطة لكي أتعامل معهم)^(١)

* * *

(١) ص ٢٢٧ من كتاب (الإسلام وخرافة المواجهة)، فريد هاليداي ترجمة محمد مستجير مكتبة مدبولي سنة ١٩٩٧م.



مقال بعنوان



● كيف نصون الهوية الإسلامية
في عصر العولمة ؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد .

[كيف نصون الهوية الثقافية الإسلامية في عصر العولمة .. ٩]

شَغَلَتْ (العولمة) - وهي الطور الأخير للنظام العالمي الجديد المنبثق من حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م - جمهرة الباحثين وعلماء السياسة والاقتصاد والمحللين ورجال الصحافة، وعقدت لها الندوات والمؤتمرات لبحث طبيعتها وأهدافها، والكل مجمعون على وصلها بفلسفة (فوكوياما) بكتابة الشهير { نهاية التاريخ } .

وعندما تنازل عن أفكاره بكتابه الجديد (الانفراط العظيم)، تلقف الفكرة كاتب آخر يدعى (فريدمان)، أكثر حماساً من سلفه، وزاد عليه بطوافه بالعالم للترويج للعولمة، وألحث على الانتسحاق بقطارها محذراً من أعراض التخلف عن الركب المتقدم لمن فاتته القطار !

ولعل أصوب المواقف إزاء هذه الهجمة الجديدة التي تتعرض لها أمة الإسلام، ألا نغلق المنافذ تماماً لحماية الذات الثقافية والحضارية، بل ينبغي أن نعمل على تحصين الذات واستثمار الذخائر الإيمانية المستكنة في الصدور ونرى أن أول ما نوصي به هو الحرص على ألا يدفعنا الواقع الأليم لامتنا العربية والإسلامية إلى حافة التشاؤم أو اليأس - فهو واقع مؤقت قياساً على ما مر بها من نكبات في حياتها الممتدة طيلة أربعة عشر قرناً من الحروب الصليبية والغزو التتاري والاستعمار الغربي الحديث، بل ونغلب بواعث الأمل في مستقبل أفضل بالحث على استثمار عوامل المقاومة والتصدي، وهي ذاتها المتمثلة في المحافظة على هوية الأمة أيضاً، وقد دأبت عند مقابلة الأخطار - طيلة تاريخها - استخراج مكنون الذخائر الإيمانية من القلوب

بواسطة علمائها لتدبر أسباب الهزائم فى ضوء السنن الإلهية بالكتاب الكريم، ولتسترشد بتعاليم الرسول ﷺ لأن أحد أسباب الهزائم هى مخالفة تعاليمه والتفريط فى اتباع سنته، وكان الدرس الأول ما حدث فى موقعة أحد، والآخر هزيمة ١٩٦٧م (ثم تحقق النصر بارتفاع هتافات جند مصر فى معركة أكتوبر ٧٣ بشعار (الله أكبر) !)

إن هذه اللمحة هى نقطة البدء فى معرفة العلاقة الثابتة بين قوة الإيمان والنصر فى موقعة (بدر) وما تلاها، وأسباب الهزائم فى النكوص على الأعقاب. فالإيمان هو الذى حرك الأمة منذ فجر تاريخها ولازال قادراً لو أحسن استثماره على صد الغزوات بل تحول الأمة لمكان الصدارة من جديد! يقول الدكتور جمال حمدان مبدئياً حيرته لهذا التحول الفريد من نوعه (لاشك أن مما يدعو إلى الحيرة والتساؤل حقاً أن تستطيع قوى الصحراء الطاردة - قاعدة أرضية شبه خاوية وموارد طبيعية شحيحة وإنتاج اقتصادى متواضع وكثافة سكانية هزيلة - أن تقهر وتخضع قوى البر والبحر التقليدية العتيقة فارس شرقاً وروما غرباً وفى مدى زمنى يحسب بالسنين أكثر مما يحسب بالعقود . معادلة صعبة (٢)

وسنمضى فى خطوات البحث، فنعرف أولاً بالعولة وموقفنا منها، والعراقيل التى تبطئ من سيرها، ثم بيان بعض مقومات المحافظة على الهوية .
وأخيراً نعرض بعض التوصيات :

التعريفات بالعولة وموقفنا منها :

تفاوتت الآراء بين التهوين من شأنها أو الغلو فى وصف سطوتها، وكأنها وحش كاسر يستحيل مواجهته، وربما كانت الدراسة الوصوعية التى تسعى للتعريف بها وبأهدافها قد أصابت وصفها بأنها (قطيبة فى العلاقات الدولية، وضد الهويات الثقافية أو الدينية لكل الحضارات الأخرى) (٣) ولتحقيق هذه الغاية توظف التقنية الإعلامية - وخاصة التلفزيون والإلكترونيات والإعلام السريع لتؤدى الدور الحاسم فى تكوين الراى العام، وتصدير الثقافة الجاهزة التى تغزو العالم كله، مدمرة ثقافات

الخاصة (٢) وتنفيذ (العولمة) من أبواب الاقتصاد والثقافة والقيم، مما يستدعى ضرورة مقاومه فى شتى هذه الابواب للمحافظة على الهوية الخاصة للمجتمعات، لذلك أصبح الواجب الملحق على كاهل الامة الإسلامية بكافة فئاتها أخذ الأمر مأخذ الجد. وعلى أية حال، فإن الضجة الإعلامية المثارة حول العولمة، لا تخرجنا قيد أنملة عن الاعتزاز بالهوية الإسلامية، لأننا نعرف أنها - أى العولمة التى حددها فريد مان بالأمركة - فارغة المضمون - كفلسفة عملية - ولا تقوى على الصمود أمام النقد الفلسفى - ويظهر عجزها الشديد عن إقامة حضارة تتوافق مع المتطلبات الإنسانية بشتى نوازعها واحتياجاتها الجسدية والروحية وفق قيم ثابتة، كما لا تملك من الخبرة التاريخية ما تقدمه كحلول لمشاكل الإنسانية المتفاقمة. يقول مؤلف كتاب (اليابان لم تقل لا) :- ونظراً لأن التاريخ الأمريكى قصير المدى ولا يتعدى قروناً قليلة، لم يخض الأمريكيون قط تجربة التحول من مرحلة تاريخية رئيسية إلى أخرى (٤)

تجليات العولمة :

وللعولمة تجليات كثيرة (٥)، ولكن أكثرها خطورة هى ممارسة مفهوم (العنف الثقافى) التى تمارسه إحدى القوى الكبرى على سائر الثقافات الأخرى، بالآليات الخارجية والمال والاتصالات والاستثمار... وبالتحالف مع البنية الداخلية المسيطرة (باحتواء الطبقات الداخلية المستفيدة مما يخلق نوعاً من التحالف بين الطبقات الحاكمة والطبقات والفئات الأقل منها مثل رجال الأعمال والمثقفين وعديد من الكوادر من التكنوقراط) (٦)

ويتضح مفهوم (العنف الثقافى) بتعريفه بأنه (فعل اغتصاب ثقافى وعدوان رمزى على سائر الثقافات) .

والعولمة وفق هذا الدور المخرب ليست جديدة أو طارئة على الدول النامية، بل هى (الترويج التاريخى لتجربة مريرة من السيطرة بدأت منذ انطلاق عمليات الغزو الاستعمارى منذ قرون، وحققت نجاحات كبيرة فى إلحاق التصفية والمسخ بثقافات نوبية عديدة، وبخاصة فى أفريقيا وأمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية) (٧)

وفى ضوء ذلك كله فان عالم المستقبل سيصبح فى ظل العولمة لو نُجِحت فى مسارها محكوماً - لا من الأطر الوطنية - بل من خلال المؤسسات الدولية، بل إن القادة السياسيين - فى رأى د / بطرس غالى - لم يعودوا يمتلكون أكثر من مجالات السيادة الفعلية التى تمكنهم من اتخاذ القرار (٨)

ويُخشى تحول (العولمة) إلى ما هو أكثر تدميراً للمجتمعات بتحويلها إلى (عولمات) عديدة [أى فى مجال المعلومات والمخدرات والأوبئة والبيئة . . ثم تأخذ فى التعاضد فى المجالات المختلفة بسرعة متباينة . . بما فى ذلك الجريمة، أى الجرائم العابرة للحدود] (٩)

العولمة وأبواق الحرب النفسية :

ونوصى بالاحتراز من الاستجابة للحرب النفسية التى تصور العولمة وكأنها (ديانة جديدة) كما يريدونها (توماس فريد مان)، الذى يخير العالم - كما بينا آنفاً - بين الإحساس بالانتماء، وبين السعى نحو التقدم فى ظل العولمة (فالانخراط فى مسارات العولمة والسوق العالمية، بأى ثمن، هو الطريق الوحيد للتقدم والازدهار، بينما الاحتفاظ بالهوية "أو الانتماء للجذور الوطنية والدينية" هو طريق التخلف والاندثار) (١٠)

ويحاول فريدمان توظيف فكرته سياسياً فى أرض الواقع فيصور اسرائيل (المتلحفة بالعولمة المطلقة القوية . . رغم صغر حجمها - أن تغلب وتتصر انتصاراً نهائياً فى ظل التسوية، على العرب جميعاً وتحديداً على مصر «شجرة الزيتون» المترددة حيال مخاطر العولمة) (١١)

وتبدو هذه المحاولة كاحدى وسائل الحرب النفسية التى يهدفون بها إلى تسليم الخصم قبل النزال بتحطيم روحه المعنوية وبث اليأس فى نفسه .
وقد اعتمدت حملتها الإعلامية بإشاعة فكرتها على عاملين :
احدهما (تجنيد مفكرين وكتاب فى مختلف البلاد، يُنظِّرون ويروجون لأفكار العولمة والكونية ويؤكدون أن الشعور بالولاء لامة أو وطن أصبح من مخلفات الماضى) (١٢)

الثاني: هشاشة التكوين الدينى والثقافى الإسلامى لدى بعض المثقفين بسبب روح التغريب السارية فى ثقافتهم، ولكن مما يبعث على الاطمئنان أمام هذا الغزو الجديد لثقافتنا أن (عامة المسلمين فيهم حصانة روحية وإيمان قوى يجعلهم يميزون الحبيث من الطيب... فلا خطر عليهم، إنما الخطر على الذين لا يؤمنون إيماناً صادقاً، وفي نفوسهم اضطراب واتجاه إلى تقليد الغربيين فى كل شئ، وتقديس ما عندهم، سواء أكان صحيحاً أم باطلاً) (١٣)

أضف إلى ذلك أن هناك عراقيل أو معوقات تبطئ سيرها :

عراقيل أمام العولمة:

لم ترغخ شعوب العالم الثالث بعد لنظام (العولمة)، وأخذت تقاومه بالتجمعات الاقتصادية لتصد الجنسيات المتعددة (١٤)

يقول الدكتور محمد محمود ربيع أستاذ العلوم السياسية (يجتاح العالم غضب مكتوم من ممارسات قوى عولمة القطب الواحد انفجر مؤخراً فى سياتل بالولايات المتحدة (ديسمبر سنة ١٩٩٩ م) ثم فى دافوس بسويسرا (فبراير ٢٠٠٠ م)، وتنتظر ثلاثة آلاف منظمة شعبية على مستوى العالم من مناسبات قادمة لإعلان تضامنها مع انتفاضة سياتل، وفتح جبهات صراع جديدة مع مفاهيم وسياسات العولمة) (١٥)

ومن رايه أيضاً ان ما حدث لم يكن أول إدانة دولية للعولمة، فقد سبق ان اتهمها مؤتمر الدول الـ ١٥ بالقاهرة (مايو سنة ١٩٩٨ م) بالجنش وعدم العدالة، وتنبأ بالاختلالات التى ستنتج عن احتكار الأقلية الرأسمالية للمزايا الاقتصادية والسياسية على المستوى الكوكبى أ.

كما أخذت (العولمة) تصطدم فى المجال السياسى بخصوصيات - ومثال ذلك فى رأى الأستاذ محمد سيد أحمد - خصوصية العلاقة بين العرب وإسرائيل، وهى فى جوهرها قضية وجود لا قضية حدود، ومن ثم أصبح من الصعب إزالة خصوصية الشرق الأوسط ليصبح جزءاً من حركة (العولمة) مادام النزاع قائماً وهو صورة مكررة

(لما كانت عليه الحروب الصليبية فى القرون الوسطى . . مع فارق واحد هو أن الغزاه فى المرة الاولى قد أتوا بصفتهم مسيحيين يتطلعون إلى استرداد أورشليم . . وفى المرة الثانية ، بصفتهم يهوداً . . وفى المرتين ، نشب صدام بين الإسلام والغرب - ولم تُحل قضية الحروب الصليبية إلا بفشل هذه الغزوات فى النهاية واستعادة العرب أرضهم بالكامل) (١٦)

مقومات المحافظة على الهوية والتصدى للعولمة :

إنها فى مجموعها تكون طرق الصمود للتغلب على أية تحديات ، نجمعها كراءس مسائل قابلة للتوظيف الفعال ، وهى : عقيدة التوحيد - التطبيق العلمى بواسطة الرسول ﷺ ، وهو أسوة الأمة برمتها - العناية بتحقيق وحدة الأمة وعناصرها الثابتة ، لا سيما اللغة العربية .

كذلك لا ننسى ان هذه المقومات جربت من قبل وأنقذتنا من الضياع ، فقد تعرضت الأمة الإسلامية لغزوات مشابهة ، ومحن متفاوتة الشدة ، اقصاها فى القرن الأخير منذ نكبة إلغاء الخلافة : من احتلال عسكرى مدعم بأفتك الأسلحة ، إلى اجتياح إلحادى ماركسى وسحق التفرد والهويات الثقافية للشعوب الخاضعة له ، وبالذات سكان الجمهوريات الإسلامية ، إلى تبشير صليبي ، إلى فرض اللغة والثقافات على المستعمرات كما فعلت المجلترا وفرنسا . . وقد ارتدت هذه الموجات أمام المواقف الشجاعة لحركات المقاومة باستنادها إلى نفس المقومات .

وقبل العمل بالخطط التفصيلية للمحافظة على الهوية إزاء (العولمة) ، نرى إحداث وعى إسلامى عام بواسطة تعاون أجهزة الإعلام بكافة الدول الإسلامية بأن مسئولية المحافظة على الهوية عنها مشتركة بين الأفراد والمجتمعات والدول بواسطة طريقتين :

الأول : التغيير الذاتى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١]

الثانى : الإعداد الذاتى ينصب على المجتمع والدولة ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ

قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] (١٧)

ذلك بأن الإسلام - ياجماع أهل السنة والجماعة - قول وعمل، ويعلو بهذا الازدواج على فكرة (الثقافة) النظرية المجردة، فقد ورد في صحيحى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال (الإيمان بضع وستون - أو بضع وسبعون - شعبة، أعلاها أو أرفعها أو أفضلها - على اختلاف الروايات - قول. لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) .

وتمتد شعب الإيمان فى شرايين المسلم - أو هكذا ينبغى أن تكون، وإذا عمل بها أصبحت كالسد المنيع الذى يستحيل اختراقه مهما فعلت جيوش العولة، والخبرات التاريخية بل التجارب المعاصرة - خير شاهد، إذ بعد انقراط عقد وحدة الأمة - الخلافة - لجأ المسلمون بفطرتهم وغريزة الدفاع عن النفس إلى شعب إيمانهم يلوذون بها، وها هو المشهد المائل أماننا فى التضحيات المتواصلة للأقليات الإسلامية فى العالم أمام محاولات الاستئصال، ففى الهند، وبلاد البلقان فى أوروبا (ومنها البوسنة والهرسك)، كذلك قاوم المسلمون فى الاتحاد السوفيتى الغزو الروسى الملحد لقد بقى الإسلام فى الجمهوريات الأسبورية الإسلامية عاملاً حيواً فى تماسك الشعوب هناك وظلت تحتفظ به فى قلبها وتربى عليه الأبناء والأحفاد بالرغم من الحرب الضروس، بل ظل المسلمون بمحافظتهم على دينهم يقاومون أيضاً محاولة تذويبهم فى الشعوب الأخرى.

يقول الدكتور/ بينجون الأستاذ بجامعة لندن المتخصص بأحوال مسلمى الاتحاد السوفيتى:

(إن الإسلام هو مصدر تماسك الجمهوريات الأسبورية الإسلامية فى مواجهة استيعاب الروس لهم. وأن المسلمين فى الاتحاد السوفيتى يتزايدون بمعدلات كبيرة جداً بالمقارنة بالأوروبيين حتى أصبح هناك مسلم بين كل أربعة من المواطنين. . وقد فشلت تماماً محاولات صهر ودمج هذه العناصر. . والإسلام الآن يمثل عقبة أمام المخططات السوفيتية لأن المسلمين هناك يعتبرون رمزاً للتمايز والاختلاف عن القوميات الأوربية) (١٨)

وما المعارك الضارية الدائرة الآن في الشيشان ببسالة منقطعة النظير إلا دروساً
لسائر مسلمى العالم .

وإذا شئنا التخصيص على أهم الروابط وأقواها فإننا نذكر منها :

أولاً : التوحيد :

وهو جوهر الإسلام ولبّه، وهو العلم الأكبر لهوية الشخصية الإسلامية . وقد
أفاض علماؤنا بتحليل أنواعه الثلاثة وثقوه برباط محكم لكى يبقى التميز قائماً فلا
تختلط العقائد تحت شعار وحدة الأديان الباطل . فإن توحيد الألوهية يعنى أفراد الله
تعالى بالعبادة، رجاءً وخوفاً ومحبةً - وهى من أعمال القلوب - والصلاة والزكاة
والحج والجهاد ونحو ذلك - وهى أعمال الجوارح -، ولا يصح للإنسان أن يتوجه
لغير الله تعالى بهذه الأعمال التى يقصد بها التقرب إلى الله تعالى استسلاماً وإذعاناً
ونخسوعاً له وحدة .

وفهم توحيد الربوبية فى ضوء التيقن بأن الله سبحانه وتعالى هو رب كل شيء
ومليكه، وهو تعالى وحده الخالق الرازق المحيى المميت المدبّر لجميع الأمور بتشريعه
العادل .

أما توحيد الأسماء والصفات فيميز الشخصية الإسلامية عن غيرها لأن المسلم
يتميز بمعرفة أسماء وصفات الله تعالى بما اثبتة لنفسه من أسماء وصفات أثبتها له
رسوله ﷺ .

وبعقيدة التوحيد تظهر أصالة أمة الإسلام وهويتها الخاصة التى لا تشاركها فيها
أمة غيرها .

ثانياً : رسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة في كل العصور :

إن المسلمين كافة مطالبون بالناسي بالرسول ﷺ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، على مدى العصور
كلها حتى قيام الساعة، وهو وحده الأسوة الحسنة حياً وميتاً، فلم تنقض سنته
بموته، لأنهم مأمورون بطاعته طاعة مطلقة غير مقيدة بمكان أو زمان ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ

وَالرَّسُولَ ﴿آل عمران: ١٣٢﴾ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ {الأنفال: ١} ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ {آل عمران: ٣١} .

ولا يتعارض ذلك مع تغيير الأزمنة والعصور، لأن الاقتداء به - ﷺ - يتصل بعقائد الإنسان المسلم وعباداته وسلوكياته كإنسان يحتاج إلى أسوة في طريق اجتيازه للحياة الدنيا (فالحواضر الإنسانية لم تزل نفسها اليوم كما كانت منذ فجر الحضارة الإنسانية، فالغرائز التي هي محور عمل الإنسان لم تزل باقية كما كانت بالرغم من أن مجال النشاط الإنساني قد اتسع، وصفات الإيثار والشرف والصدق والشجاعة المستحبة تنال من الاحترام اليوم ما كانت تناله منذ القدم) (١٨) .

وهو وحده - ﷺ - الذي ضرب المثل الأعلى في السلوك الإنساني في ضروبه كلها، وقدم الحلول الحاسمة لكافة ما يعترضنا من أزمت كآفراد ومجتمعات وأمة، وفي شتى العلاقات وكافة المواقف .

كذلك فإن اتخاذه - ﷺ - الأسوة، يعصم المسلمين من الافتتان بكل ناعق كغيرهم من الشعوب التي يراد لها اتباع رجال مصنوعين ومروج لهم بأجهزة الإعلام لتلقي بشعوبها إلى حتفها .

وتوضح السنة النبوية بجللاء ارتباط العقائد بالأعمال، حتى لا تتحول العقائد إلى مجرد أفكار نظرية وكأنها الهدف النهائي في ذاتها، إن المقصود اقتران العقائد بالأعمال، وتتميز الشخصية الإسلامية حينذاك عن غيرها لأنه من سماتها انعكاس العقائد على السلوك والأخلاق .

والسنة النبوية خير ما يحقق نموذج صلة العقائد بالعمل والسلوك .

وقد وفق الدكتور برغوث بن مبارك في تصوير الارتباط الوثيق بين العقائد والأعمال في سنة الرسول ﷺ فقال: (فالمنهج النبوي لا يقدم فقط الإطار المرجعي للسلوك البلاغي الدّعوي، والمنهاج التوجيهي للفعل الإصلاحي، والترشيدي، بل يقدم بالإضافة إلى ذلك البناء العملي لهذه الأفكار النظرية . فالسنة أصلاً موقف عملي منهجي منظم دخل في أطراد بناء المجتمع الإسلامي الأول،

وترك للأجيال الإسلامية معيار البناء الحضاري الخاضع لتعاليم الوحي والمنضبط بتوجيهاته (١٩) .

ثم قدم جملة نماذج واقعية لهذه المنهجية

{ فني الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام «سئل: أي الأعمال أفضل؟ فقال: إيمان بالله. قال: ثم ماذا؟ قال: جهادٌ في سبيل الله. قال ثم ماذا؟ قال: حجٌّ مبرور .

وسئل عليه الصلاة والسلام : (أي الأعمال أفضل ؟ قال: الصلاة لوقتها، قال: ثم أي؟ قال: بر الوالدين . قال: ثم أي؟ قال: جهادٌ في سبيل الله .

وفي النسائي عن أبي أمامة قال: أتيت النبي ﷺ فقلت : مرني بأمر آخذه عنك . قال: عليك بصوم فإنه لا مثيل له) .

وفي الصحيح في قول : (لا إله إلا الله لا شريك له . . . الخ . . قال: ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه) .

وفي الترمذي (ليس شيء أكرم على الله من الدعاء) .

وفي البزار (أي الدعاء أفضل؟ قال: دعاء المرء لنفسه) .

وفي الترمذي : ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن (٢٠) .

وفي البزار (يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما خفيفتان علي الظهر وأثقل في الميزان من غيرهما؟ عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلهما) .

وفي مسلم (أي المسلمين خير؟ قال: مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده) وفيه (أي الإسلام خير؟) قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف) .

وفي الصحيح (وما أعطى أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر) .

وفي البخاري (خيركم مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ) (٢١) .

ومما يسترعي الانتباه أيضاً، أن السميت الظاهر الذي لم نلق له بالاً مع موجة التقليد العصرية - له دوره أيضاً في المحافظة على الهوية، وللقارئ نفس الكلمة التي قالها بسمارك لغلبيوم الثاني لما كان ولي عهد الإمبراطورية الألمانية حينما أرسلوه إلى روسيا ليمثل ألمانيا في إحدى المناسبات، قال بسمارك: (إنك ذاهب إلى بلاد شرقية، فإذا رأيت الشرقي المتمسك بزبده الأصيل فاعلم أنه لا يزال على ميراث من فطرة الشرق وأصالته، وإذا رأيت الشرقي الذي لبس البنطلون تقليداً للغرب، فاعلم أنه فقد موارثه في الفضائل، ولم يكتسب أخلاق الغرب وفضائله) (٢٢)

ولمعرفة هذا السميت ودوره الهام، حرص (بطرس الأكبر) على محوه، إذ أكره المسلمين على حلق اللحية وحرّم عليهم ارتداء القفطاطين، وفي ظروف مماثلة في العداء للمسلمين مع مخالفة للطريقة التي اتبعها بطرس، أصدر أتانورك قانوناً عام سنة ١٩٢٥م فرض به على جميع المواطنين الأتراك ارتداء القبعة ذات الحافة. (٢٣)

وللقارئ إحدى الصور التي انطبعت في واقعنا المعاصر بتقليد الفرنجة كما يسجلها اللورد كرومر :

يصف اللورد كرومر موقف المصري المتفرنج وموقف المبشرين الذين يبذلون في البلاد نشاطهم الثقافي والاجتماعي والديني فيقول :

{ إن المصري المتفرنج المتطلع إلى محاكاة الغرب عندما يتخلى عن معتقدات أجداده فإنما يمضي في اتجاهه هذا .. إنه والحال هذه - لا يترك تلك التقاليد فحسب - بل إنه يزديها ويحتقرها، إنه يندفع اندفاعاً أعمى إلى أحضان الحضارة الغربية، دون أن يتعقل الحقيقة التي تؤكد أن ما تراه عنه من هذه المدنية إنما هو مجرد الغلاف الظاهر منها، بينما أن الأصول العميقة للأخلاق المسيحية تختبئ في القاع ومن العسير على مقلدي الأوروبيين أن يحصلوا عليها عن طريق تقليد النظم الأوروبية .. } (٢٤) ^(١)

(١) الشرق والغرب من الحروب الصليبية إلى حرب السويس الجزء الثاني محمد على الغنيت ط الدار القومية للطباعة والنشر سلسلة من الشرق والغرب - العدد ٩ .

وقد ظنَّ كرومر أن نجاحه نهائى و أن الأمة قد أصبحت طوع بنان عملية التغريب التى أدارها بدهاء .

و لكن علماء الإسلام حاصروا التغريب وذكروا أمتهم بأصالتها، ووقفوا سداً منيعاً للحد من التغريب ولإزال النزاع قائماً .

وقد خدم المدافعين عن الأصالة فى مواجهة المتغربين بقوله (و من العسير على مقلدى الأوروبيين أن يحصلوا عليها عن طريق تقليد النظم الأوروبية) و يكفيننا وصفهم بأنهم (مقلدين) لا (متقدمين) أو (متنورين) .

الكف عن التشبه بخصال الأمم الأخرى :

لقد نهى النبى ﷺ عن التشبه بالأمم الأخرى، فقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة ؓ عن النبى ﷺ انه قال (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى مأخذ القرون، شبراً بشبراً، وذراعاً بذراع، فقليل يا رسول الله، كفارس والروم ؟ قال : ومن الناس إلا أولئك) ؟ .

وكان علماؤنا حريصين دائماً على تنبيه الأمة وتحذيرها من تقليد الأمم، وإن كانت آفة التقليد فى تاريخنا بسبب تقصير المسلمين وضعف ارتباطهم بدينهم، فقد زاد الطين بله فى العصر الحديث حيث كان للاستعمار العسكرى والثقافى درره البارز فى فرض عقائده وفلسفاته وطرق حياته، فالظاهرة ليست بنت اليوم وعلى سبيل المثال :

يقول الآجري (المتوفى سنة ٣٦٠ هـ) :

من تصفح أمر هذه الأمة من عالم عاقل، علم أن أكثرهم والعام منهم تجرى أمورهم على سنن أهل الكتابين، كما قال النبى ﷺ ، أو على سنن كسرى وقيصر، أو على سنن الجاهلية، وذلك مثل السلطنة وأحكامهم فى العمال والأمراء وغيرهم، وأمر المصائب والأفراح والمساكن واللباس والحلي والاكل والشرب والولائم، والمراكب والخدام والمجالس والمجالسة والبيع والشراء والمكاسب من جهات كثيرة وأشباه لما ذكرت يطول شرحها، تجرى بينهم على خلاف السنة

والكتاب وإنما تجرى بينهم على سنن من قبلنا، كما قال ﷺ (٢٥)
ومغزى الحديث النبوى الشريف من النهى عن التقليد، حث أمة الإسلام أيضاً
على الاعتزاز بمكانتها بين غيرها من الأمم الأخرى:
ففى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
[آل عمران: ١٣٩]

يقول القرطبي : عزّاهم وسلاهم بما نالهم يوم أخذ من القتل والجرح، وحثهم
على قتال عدوهم ونهاهم عن العجز والفشل، فقال ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ أي لا تضعفوا ولا
تجنبوا يا أصحاب محمد ﷺ عن جهاد أعدائكم لما أصابهم ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على
ظهورهم، ولا على ما أصابكم من الهزيمة والمصيبة ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ أي لكم تكون
العاقبة بالنصر والظفر ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي بصدق وعدى ..
... ويقول الإمام القرطبي :

(وفي هذه الآية بيان فضل هذه الأمة لأنه خاطبهم بما خاطب به أنبياءه، لأنه
قال لموسى ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ وقال لهذه الأمة ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ وهذه اللفظة
مشتقة من اسمه الأعلى فهو سبحانه العلي . وقال للمؤمنين ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾^(١) .

ثالثاً : اللغة العربية :

هي إحدى مفردات الهوية الإسلامية فضلاً عن أنها لغة القرآن، وقد وحدت
الأمة طيلة تاريخها.

يبين ابن خلدون مكانة اللغة العربية في الإسلام، وصلتها الوثيقة بالملة الإسلامية
وأهلها بقوله { ثم النظر في القرآن والحديث لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية لأنه
متوقف عليها، فمنها علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الآداب ... وهذه
العلوم المستعيلة كلها مختصة بالملة الإسلامية وأهلها ... } (٢٧)

(١) تفسير القرطبي ص ١٤٥٨ / ١٤٥٩ طبعة دار الشعب بالقاهرة جماد الآخر ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م .

وقد تفسّدت ظواهر إهمال اللغة العربية في السنوات الأخيرة بشكل ينذر بالخطر على شخصيتنا وتراثنا، ويُسهّل دور العولمة في ابتلاع أجيالنا الجديدة التي تتخطفها اللغات الأجنبية لاسيما الإنجليزية - ولا علاج لهذه النكسة المؤسفة إلا بوضع اللغة العربية في المكانة الأولى في ثقافتنا كما كان مجدها قبل عصر الاستعمار، فإنها (الرباط المؤحد بيننا والمكوّن لبنية تفكيرنا والصلة بين أجيالنا) (٢٨).

ويقول الشيخ عبد الجليل عيسى (بقاء ذكر الأمة عالياً ما بقيت لغتها حية قوية) .. مستدلاً على ذلك بالآيتين :

﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠] إذ قال ابن عباس ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي الصِّيت والشرف .

والثانية ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٤] ثم يستطرد قائلاً: (ولهذا كان أقوى سلاح لخصوم الإسلام والعرب هو إيقاظ اللغة العامية في كل أمة حتى تحتل مكان الفصحى، فيندثر ذكر العرب، وتقطع صلة المسلمين كافة بكتابهم) (٢٩) .

ولا حجة للرأي القائل بضرورة متابعة المستجدات في مجالات العلوم والتكنولوجيا بالحرص على إتقان اللغات الأجنبية، وآية ذلك - كمثال - استمساك سوريا بتدريس الطب لطلابها باللغة العربية، جنباً إلى جنب مع المتابعة للمستجدات في مجال علم الطب بالغرب .

كذلك فإن تاريخ اللغة العربية منذ فجر الإسلام سجل حافل بنجاحها في استيعاب الدين والثقافة والحضارة والحكم في آن واحد (واستطاعت بما وهبها الله من خصائص وما تهيأ لها في تاريخ طويل سبق الإسلام أن تفي بهذه الحاجات الجديدة وأن تنهض بالعبء العظيم فتكون لغة الدولة الجديدة والحضارة الجديدة) (٣٠) .

دور الإعلام :

نحن في عصر الإعلام والقنوات الفضائية التي ألغت الحدود ووصلت إلى أنحاء الكرة الأرضية كلها بلا حواجز، وهي سلاح فعال لا ينكر أثره، فعلى المسؤولين استنفار أجهزة الإعلام بالدول العربية والإسلامية كافة وتوحيد الخطة العامة وجعل الهدف: صدّ تيار العولمة، وذلك من منطلق إنتمائنا إلى الثقافة الإسلامية وحضارتها، ولأن قيم حضارتنا ومثلها العليا تجعلها فعّالة، لا منفعة، مما يستوجب عناية الإعلام بالتركيز على إشعاعات نقاط التمايز من حيث تصورنا للحياة وإضفاء المعنى لها، وخلصتها أن الحياة الدنيا دار ممر وليست بمستقر، وكما أننا مطالبون بالعمل والإنتاج وتعمير الأرض، فإننا مطالبون أيضاً بجعل الهدف النهائي ابتغاء الفوز بالجزء في الآخرة، وهكذا يمكن المزج بين المثل العليا والحقيقة الواقعية وسد النقص المغيّب في الفلسفة النفعية العملية التي تتبناها العولمة .

ومن المفيد الاسترشاد بالمبادئ العامة التي حددها الراغب الأصفهاني وفق بعض الآيات القرآنية، إن للإنسان ثلاثة أفعال تختص به وهي :

١ - عمارة الأرض المذكورة في قوله تعالى ﴿وَأَسْتَعْمِرْكُمْ فِيهَا﴾ لتحصيل المعاش لنفسه ولغيره .

٢ - عبادته المذكورة في قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي الامتثال لله سبحانه في عبادته في أوامره ونواهيه .

٣ - خلافته في قوله تعالى ﴿وَيَسْتَخْلِفْكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ .

{ولا يستحق الإنسان الخلافة إلا بتحرى مكارم الشريعة، وهي الحكمة والقيام بين الناس في الحكم والإحسان والفضل، والغرض بلوغ جنة المأوى} (٣١) .

ويحسن التأكيد على هذه الميزة الكبرى لعقائدنا وقيمنا التي نقدمها للعالم لإيجاد التوازن الذي يفتقده، لأن التقدم الأخلاقي - في رأي ألبرت اشفيتسر - هو (جوهر الحضارة حقاً . . أما التقدم المادي فهو أقل جوهرية، ويمكن أن يكون له أثر طيب

أو سيء في تطور الحضارة (٣٢) وهو يشكو مرّ الشكوى مما يسميه (انفعالات
الامم وحماقاتها) بسبب البطالة والفقر والجوع، وتفسخ الحياة الإنسانية وتبددها في
كل اتجاه، ويقترح العلاج في الدعوة إلى التفكير في معنى (الحياة) إذ (حينما يبدأ
جمهور الناس التفكير على هذا النحو، ستنشأ القوى التي تستطيع أن تحدث نوعاً
من التوازن مع هذا الاضطراب والبؤس . وأية إجراءات أخرى تتخذ فإن نتائجها
يحيط بها الشك ولن تكون مناسبة ولا وافية) (٣٣) .

بعض التوصيات :

من ملامح العصر السعي نحو التكتلات السياسية والاقتصادية لامتلاك القوة
والنفوذ على الصعيد العالمي، كبعض دول أوروبا التي توحدت اقتصادياً وعسكرياً .
في هذا المناخ حق علينا - للوقوف صفاً واحداً كسد منيع أمام تدفق موجات
العولمة - إحياءاً للوحدة السياسية من جديد بعد تحللها بإلغاء الخلافة .
وقد سبق لأحد أفاضل فقهاءنا السياسيين تقديم عدة اقتراحات بعد معاصرته لمحنة
إلغاء الخلافة، وربما توقع بثاقب نظره حينذاك الحصاد المرّ لهذه المحنة قبل أن تبدأ
بتداعياتها المضنية التي نحيها الآن، ومعرسته بتعذر (قيام دولة موحدة في العصر
الحاضر - واقترح لذلك إنشاء منظمة إسلامية دولية) . . . وفق ثلاث مقدمات،
وهي :

المقدمة الأولى :

إن المبادئ التي بنى عليها فقه الخلافة، قام على المبادئ التي توصّلت إليها أحدث
النظم العصرية والديمقراطية - بل تمتاز عن الفقه العصري لأن تطبيق مبادئها مرتبط
بعقيدة دينية وشريعة سماوية خالدة .

المقدمة الثانية :

إن الخلافة أنشأت في منطقتنا أعظم أمة وأقامت أعظم حضارة شهدها العالم
عندما كانت أوروبا في ظلام التخلف والجهل والحروب الدينية ونظام الإقطاع .

المقدمة الثالثة :

تحقيق وحدة الأمة الإسلامية بإنشاء - عصبة أمم شرقية - تتمشى مع الانجاء العالمي نحو التكتل والتجمع . .

ويعلّق الدكتور توفيق الشاوي قائلاً (إننا نرجوا من يؤمنون بأن الوحدة هي طريق القوة والتقدم والنهضة الحضارية أن يتدبروا آراء السهوري واجتهاداته بكل تقدير واحترام) (٣٤) .

وإذا لجأنا إلى لغة الأرقام كأدق لغة علمية، لتبين لنا مدى قوة العالم الإسلامي وإمكانياته الهائلة، ولا ينقصه إلا الالتئام في إطار موحد لمواجهة الأخطار المحدقة به . وقد قام بهذا الجهد المشكور المهندس الدكتور مصطفى مؤمن مقدماً إحصائية دقيقة عن العالم الإسلامي عام ١٩٧٤م وخلص إلى الآتي بقوله :

{ والآن، ما ظننا بدولة شامخة تحتل رقعة من الأرض مساحتها ٦٠٩, ١٢٧, ٣٠ كيلو متراً مربعاً، وتعدادها ٧٧٠, ٥٩٥, ٠٠٠ نسمة، وقوتها الضاربة البرية قوامها ٢, ٩٥٧, ٤٠٠ جندي وأسطولها البحري يضم ٨٨١ قطعة، وسلاحها الجوي يتألف من ٣٨٤٦ طائرة مقاتلة وقاذفة وناقلة، ودخلها السنوي يزيد على ٦٣٥٧٧ مليون دولار أمريكي .

وقبل هذا وبعده دولة دينها الحق والحق واحد، وقبلتها واحدة ودستورها الدائم واحد هو الكتاب المكنون .

أظن أن هذه غاية ما يرجو كل مسلم على الأرض ويقيني أنه لو قامت هذه الدولة الشامخة يوماً لنافست بل ناجزت الدولتين المتعالتين (الولايات المتحدة) و(الاتحاد السوفيتي) على السواء فهل يمكن أن يتحقق ذلك الحلم الجميل الذي يداعبنا في غمرة من اليقظة، أو في نوبة من الرقاد، إنه ليس حلماً، لقد كان حقيقة بالأمس وأراه اليوم غير بعيد المنال، ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً ﴾ {الإسراء: ٥١} (٣٥)

هذا، بالإضافة إلى خطوات أخرى ضرورية لزيادة المناعة لقدرات الأمة اقتصادياً

و ثقافياً وعسكرياً :

فعلى الصعيد الاقتصادي، لابد من إقامة السوق المشتركة بين الدول الإسلامية على غرار دول أوروبا للحماية من غزو (العولة) الاقتصادي المدمر لاقتصاد الكيانات الصغيرة المفككة .

وعلى صعيد التعليم، لابد من صبغ التعليم في جميع درجاته وأنواعه بالصبغة الإسلامية، أي أن يكون الجو العام للثقافة والتعليم هو جو العقيدة والمفاهيم الإسلامية، مع عقد الموازنات بالنظر للأنظمة الثقافية الأخرى التي غزت العالم الإسلامي لتتضح أصالة الأمة ومعالم هويتها الخاصة عبر عقيدتها وشريعتها وأخلاقها ولغتها وتاريخها وغاياتها في الحياة ويصبح التنفيذ العملي سهلاً بالإفادة من وظيفة اتحاد الجامعات الإسلامية للعمل على أسلمة مناهج العلوم الإنسانية وفق التصورات الإسلامية .

واقترحنا هذا لا يصدر من فراغ، إذ كان لأستاذنا الدكتور محمد علي أبو ريان - رحمه الله - فضل سبق بما قدّمه بكتابه عن أسلمة العلوم الإنسانية ومناهجها، إذ يبحث فيه على فعل أهل الصين واليابان أمام الغزو الثقافي الغربي ، ثم تسأل :
(هل استطاعت قوى الغرب المسيحية أن تضيّع معالم الشخصية الصينية أو اليابانية) ؟

ثم يبيّن أن القياس مع الفارق بين وثنية أديان الشرق وتوحيد الإسلام، محدداً الموقف الصحيح إزاء تيارات الثقافة الغربية المضللة المعادية للإسلام بأن يكون الصمود أمامها (موازياً تماماً لتمسكنا بحركة التقدم الحضاري التي لن تتم في شقها المادي إلا بالأخذ عن الغرب في تخيير وحذر وذكاء، كما فعل اليابانيون والصينيون) (٣٦) .

كذلك يرى أستاذنا الدكتور محمد علي أبو ريان - وهو يعالج الموضوع نفسه أنه بعد إجبار الشرق الإسلامي جيوش الغرب على الجلاء، (إلا أن الغرب استطاع أن يثبت ركائزه وحاربه المسمومة في جسم الأمة الإسلامية عن طريق ما نعرفه من

مؤامرات الغزو الفكري الثقافي للإسلام وأقطاره، وهذه هي أخطر مشكلة يواجهها الإسلام المعاصر (٣٧)

وفي إجابته عن السؤال :

بماذا ندرس الفكر الغربي ومناهجه ؟

يعرض أولاً للميادين التي شملها الغزو الفكري إذ لم يقتصر على العلم والتربية والتعليم والثقافة والفن فحسب، بل لقد حمل معه بالإضافة إليها تيارات مسمومة من التبشير المسيحي، وكذلك موجات عارمة من الإلحاد والدعوة إلى معارضة الأديان وتثيت ركائز النزعة العلمانية .

ثم يرى أنه من الضروري أن نستعرض الأسس الفكرية لحضارة الغرب متمثلة في مذاهبه الفلسفية مع الحرص على ألا نجعل من أنفسنا أرقاء لهذه الحضارة، فنلغي شخصيتنا القومية الإسلامية المنفردة، كما لا ينبغي التفوق وصم الأذان عن مظاهر التقدم الحضاري (٣٨) .

وينادي بفتح باب الاجتهاد في الفروع محذراً من وضع الأصول أو العقائد الإيمانية على بساط البحث في أي حوار من هذا القبيل، فهذا طريق سبق للفرق الإسلامية الضالة أن سلكته فخرجت منه بالخسران المبين كما حدث للإسماعيلية والدروز والبهاية (٣٩) .

وعلى الصعيد العسكري، يلزم توحيد جيوش الدولة الإسلامية، قيادة وتدريباً وتسليحاً، لأن المسؤولية مشتركة بينها جميعاً للدفاع عن كيان الأرض والسكان والأعراض أمام قوى غاشمة ظالمة لا ترعى إلا ولاذمة، وما لم تملك دول الإسلام القوة اللازمة، فربما كانت الخطوة التالية للعملة الإقدام على الغزو العسكري إذا ما فشلت أدواتها في تحقيق أهدافها .

تم الكتاب بحمد الله

قائمة مراجع [المقال]

- (١) يُنظر مقال (الانفراط العظيم) بقلم د/ جعفر شيخ إدريس بمجلة (البيان) ويصدر من المندوب الإسلامي بلندن - العدد ١٤٢ جمادى الآخرة سنة ١٤٢٠هـ أكتوبر سنة ١٩٩٩م، لعالم الاجتماع الأمريكي فوكوياما صدر بعد عشر سنوات من كتابه الأول (نهاية التاريخ) وتراجع فيه عن فكرته الأولى، وقدم بالكتاب الجديد ملخصاً للحقائق الإحصائية التي تناولت ازدياد الجرائم وتفكك النظام الاجتماعي ونسبه الأولاد الغير شرعيين .. إلخ مما ينبئ بفشل المشروع الذي بشر به من قبل.
- (٢) جمال حمدان (استراتيجة الاستعمار والتحرير) ص ٣٠ كتاب الهلال - فبراير ١٩٩٩ م .
- (٣) روجيه غارودي (الولايات المتحدة طليعة الانحطاط) ص ١٦
- (٤) شيتاروا إيشهارا (اليابان لم تقل لا - صراع المستقبل بين الكبار) ص ٣٤/ ٣٥ ترجمة هالة العورى ط يافا للدراسات والأبحاث بالقاهرة سنة ١٩٩١ م .
ويُنظر كتابنا (الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي) دار الدعوة بالإسكندرية ١٩٩٨ م . (نقد البرجماتية من ص ٢٠٦ إلى ص ٢١٦) .
- (٥) منها (الجات) وهي منظمة التجارة العالمية، وهي بحسب كلمات الرئيس الأمريكي (تعزيز موقع رعاية الولايات المتحدة للاقتصاد العالمي الجديد)، وهي إحدى آليات العولمة لممارسة العنف الثقافي (ص ٧٢) .
- وص ٩ من كتاب (الجات والتبعية الثقافية) للدكتور/ مصطفى عبدالغني ط الهيئة العامة المصرية للكتاب (مكتبة الأسرة) سنة ١٩٩٩ م .
- (٦) نفسه ص ٧٠، كما يصفهم المؤلف بأنهم عملاء متخصصون في إعادة إنتاج وتوزيع الأيديولوجية الخارجية .
- (٧) تعريف عبدالإله بلقريز بحثه المقدم لمؤتمر (العرب والعولمة) في بيروت سنة

١٩٩٧م نقلاً عن المصدر السابق ص ٧٠/٧١ .

(٨) هاني - بيترمارتين وهارد شومان ترجمة د/ عدنان عباس ومراجعة وتقديم د/ رمزي ركي (فخ العولة) - الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية ص ٣٣٠ .

(٩) نفسه ص ٣٢٨/٣٢٩ عالم المعرفة بالكويت جمادي الآخرة ١٤١٩هـ - أكتوبر سنة ١٩٩٩م .

(١٠) مقال بعنوان (تسويق و«تزويق» العولة) مراجعة نقدية لكتاب (توماس فريدمان) «السيارة ليكساس وشجرة الزيتون» بقلم د/ محمد عبدالفضيل (مجلة الهلال) فبراير سنة ٢٠٠٠م وكان عنوان غلافها { العولة .. ديانة جديدة! }

(١١) مقال بعنوان (تزويج العولة) والدور « التايواني » لمصر بقلم صلاح الدين حافظ - الأهرام ٢٠٠٠/٢/٢م

(١٢) ص ٨١ من كتاب (الجات والتبعية الثقافية) د/ مصطفى عبدالغني .

(١٣) أحمد حمزة (لواء الإسلام) رجب سنة ١٣٧٥هـ - فبراير سنة ١٩٥٦م .

(١٤) من هذه المنظمات التي انعقدت أخيراً في القاهرة (منظمة الوحدة الأفريقية لتعزيز العلاقات التجارية والتعاون بين دولها) (الكوميسا) فبراير سنة ٢٠٠٠م، كذلك مجموعة الدول النامية الأعضاء في مجموعة الـ ٧٧ التي ستجتمع في كوبا في أبريل سنة ٢٠٠٠م لتقوم انعكاسات العولة على اقتصادها {الأهرام في ٢٠٠٠/٢/١م}

(١٥) مقال للدكتور محمد محمود ربيع بالأهرام في ٢٠٠٠/٣/٣م .

(١٦) مقال بعنوان (العولة وخصوصية الشرق الأوسط) بقلم محمد سيد أحمد الأهرام في ٢٠٠٠/٣/٩م، وهو مضمون محاضرة ألقاها في (معهد العالم العربي) بباريس قبل هذا التاريخ ببضعة أيام .

(١٧) د. عماد الدين خليل (العقل المسلم والرؤية الحضارية) ص ٤٣/٤٤ دار الحرمين للنشر - القاهرة سنة ١٩٨٣م .

- (١٨) عبدالحميد صديقي (تفسير التاريخ) ص ١٤٥ . ترجمة د/ كاظم الجوادي .
ط دار القلم بالكويت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- (١٩) محب الدين الخطيب (منهج الثقافة الإسلامية) ص ١٩ هدية مع مجلة
التوحيد ذو الحجة سنة ١٤١٩هـ .
- (٢٠) أرنولد توينبي : موجز تاريخ العالم ج ٢ ص ٤٠٢ .
- (٢١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٣٦ طالمكتبة التجارية بمصر - بدون تاريخ .
- (٢٢) محمد المبارك (فقه اللغة وخصائصه العربية) ص ٢٣٣ ط دار الفكر العربي -
بيروت سنة ١٩٧٠م .
- (٢٣) المصحف الميسر للشيخ عبدالجليل عيسى ط دار الشروق ١٣٩١هـ .
- (٢٤) فقه اللغة ص ٢٩٤ مرجع سابق .
- (٢٥) الراغب الأصفهاني (الذريعة إلى مكارم الشريعة) ص ١٨ .
- (٢٦) ألبرت اشفيتسر (فلسفة الحضارة) ص ٣٦ . ترجمة د/ عبدالرحمن بدوي
ومراجعة د/ زكي نجيب محمود المؤسسة المصرية العامة .
- (٢٧) فلسفة الحضارة ص ٨٢ .
- (٢٨) يُنظر كتاب (قسّمات العالم الإسلامي المعاصر) ط دار الفتح بيروت
١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- (٢٩) محمد المبارك (المشكلة الثقافية في العالم الإسلامي - واقعها وعلاجها ص ١٥
دار الفكر - بيروت .
- (٣٠) د/ محمد على أبوريان (أسلمة المعرفة - العلوم الإنسانية ومناهجها من
وجهة نظر إسلامية) ط دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية سنة ١٩٩٧م .
- (٣١) الذريعة إلى مكارم الشريعة الراغب الأصفهاني، ص ١٨ .
- (٣٢) نفسه ص ٣٦
- (٣٣) نفسه ص ٨٢
- (٣٤) لمزيد من الفائدة يرجى الاطلاع على هذه الدراسة المتميزة - وينظر مقدمة

كتاب « أصول الحكم في الإسلام » بقلم د/ توفيق الشاوي (مكتبة الأسرة
١٩٩٨م)

(٣٥) قسّات العالم الإسلامي المعاصر د/ مصطفى مؤمن ط دار الفتح بيروت
١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

(٣٦) الإسلام في مواجهة تيارات الفكر الغربي المعاصر (١) موقف الإسلام من
الماركسية ص٢٢ دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية سنة ١٩٨٥م .
(٣٧) نفسه .

(٣٨) ص٢٢-٢٣ باختصار

(٣٩) نفسه / ص ٤٣ .

* * *

المؤلف في سطور

- ولد بمدينة الإسكندرية في ١٠ / ١١ / ١٩٣٢ م .
- ليسانس الآداب (قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية) من جامعة الإسكندرية عام ١٩٦٠ م بدرجة جيد .
- ماجستير في الآداب من نفس الجامعة عام ١٩٦٧ بدرجة ممتاز .
- دكتوراه في الآداب من نفس الجامعة والقسم عام ١٩٧١ بمرتبة الشرف الأولى .
- شغل وظيفة مدرس بقسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة اعتباراً من ١٧ / ٥ / ١٩٧٢ .
- أعير للتدريس بجامعة الرياض بالملكة العربية السعودية في الفترة من ٦ / ١١ / ٧٥ إلى ٢٠ / ٢ / ١٩٨٠ .
- عُيِّن أستاذاً مساعداً بتاريخ ٢ / ٥ / ١٩٧٩ بقسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم . جامعة القاهرة وتدرّج حتى أصبح أستاذاً ورئيساً للقسم .
- اتجه للتدريس بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد عام ١٩٨٧ .
- اتجه للتدريس بجامعة أم القرى بمكة المكرمة من عام ١٩٨٧ م وحتى ١٩٩٢ م .
- حائز على جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية ١٤٠٥ هـ .
- حالياً أستاذ متفرغ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة .

من مؤلفات الأستاذ الدكتور / مصطفى حلمي

- ١ - نظام الخلافة في الفكر الإسلامي) ومختصره (نظام الخلافة بين أهل السنة والشيعة) .
- ٢ - منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين .
- ٣ - ابن تيمية والتصوف .
- ٤ - مع المسلمين الأوائل في نظرتهم للحياة والقيم (الزهاد الأوائل) .
- ٥ - قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي .
- ٦ - مناهج البحث الإسلامي في العلوم الإنسانية بين علماء الإسلام وفلاسفة الغرب .
- ٧ - السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية .
- ٨ - أعمال القلوب بين الصوفية وعلماء أهل السنة .
- ٩ - معرفة الله عز وجل وطريق الوصول إليه عند ابن تيمية .
- ١٠ - الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي .
- ١١ - الصحوة الإسلامية عودة إلى الذات .
- ١٢ - إسلام جارودي بين الحقيقة والافتراء .
- ١٣ - أضواء على ثقافة المسلم المعاصر .
- ١٤ - مختصر العقيدة الإسلامية (للسفاريني) .
- ١٥ - الإسلام والأديان - دراسة مقارنة .
- ١٦ - الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام .
- ١٧ - صيحة مسلم قادم من الغرب (إسلام محمد أسد) .
- ١٨ - الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية .
- ١٩ - التقديم والتعليق لكتاب : النظرية السياسية والاجتماعية لابن تيمية ، تأليف هنري لاووست وترجمة الأستاذ محمد عبد العظيم .
- ٢٠ - مشكلات الشباب المسلم وكيف نتوقها .
- ٢١ - حضارة العصر ... الوجه الآخر .
- مع مقال كيف نصون الهوية الإسلامية في عصر العولمة .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
• المقدمة	٥
• مدخل الدراسة	٩
• حضارة العصر . . الوجه الآخر	٢١
١. تحطيم الخلافة العثمانية	٢٣
٢. مسئولية حضارة العصر عن (زرع إسرائيل)	٢٨
٣. تعاون الشرق والغرب على إنشاء إسرائيل	٣٦
٤. حضارة العصر ... صانعة الإرهاب	٤١
٥. نهب ثروات الشعوب وإجهاض حركات النهضة الذاتية	٤٧
٦. إحياء الدين وتوظيفه سياسياً	٥٤
- الدين والفكر الفلسفى	٥٩
- مكانة الدين في إسرائيل	٦٠
- التخدير بالحوار الدينى	٦٢
- دوام الحروب الصليبية	٦٤
- مسح الشخصية الأصلية هو الهدف البعيد للتعليم التبشيرى	٦٨
٧. التفرقة العنصرية	٧٣
• مقال : كيف نصون الهوية الإسلامية في عصر العولمة؟	٧٧
- مقومات المحافظة على الهوية والتصدى للعولمة	٨٤

٨٦	- التوحيد
٨٦	- رسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة في كل العصور
٩٠	- الكف عن التشبه بخصال الأمم الأخرى
٩١	- اللغة العربية
٩٣	- دور الإعلام
٩٤	- بعض التوصيات
٩٩	• قائمة المراجع
١٠٣	• المؤلف في سطور
١٠٤	• كتب للمؤلف



١٣ شارع حسبو - منشا - محرم بك